تصحيح المعتقد ٩

نَظْـرَةٌ عَنْ كَثَبٍ
حول أنباء بني حرقوص

صَنَّفَهُ
أبو عبد الرحمن
عِيد بن أبي السعود الكيال
باحث بالدكتوراه
كلية الشريعة - جامعة الأزهر

الكيال للأبحاث العلمية الشرعية
٠١٠٠٣٩١٥٢٧٠
٠١١٤٥٨٠٩٤٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

رقم الإيداع

١٦٧٤٤ /٢٠١٢م

الناشر

ش ٨- الحدود - الهجانة - م. نصر -
أول طريق السويس الصحراوي - القاهرة
٠١١٤/٥٨٠٩٤٤٧ - ٠١٠٠/٣٩١٥٢٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد، وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم أما بعدُ:

فقد روىٰ الإمام أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سننه في كتاب الفتن والملاحم، تحت

أبواب الملاحم (٤٢٨٤)، والحاكم في المستدرك، أيضًا في كتاب الفتن والملاحم (٨٥٩٢، ٨٥٩٣) وصححه، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله يبعث إلىٰ هذه الأمة علىٰ رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**» وذكر الحديث السيوطي في الجامع الصغير (ح: ١٨٤٥)، قال المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير (٢/ ٣٦٦): «قال الزين العراقي وغيره: سنده صحيح، ومِنْ ثَمَّ رمز المؤلف لصحته» اهـ.

* حول شرح الحديث وفقهه:

قال المناوي في الفيض (٢/ ٣٦٥):

«**إن الله يبعث لهذه الأمة** - أي: يُقيض لها - **علىٰ رأس كل مائة سنة** - والمراد الرأس تقريبًا - **من** - أي: رجلًا أو أكثر - **يجدد لها دينها** - يُبين السنة من البدعة، ويُكثر العلم، وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم .

قالوا: ولا يكون إلا عالمًا بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة.

قال ابن كثير: قد ادّعىٰ كل قوم في إمامهم أنه المراد بهذا الحديث، والظاهر أنه يعمّ جملة من العلماء كل طائفة وكل صنف من مفسر، ومحدث، وفقيه، ونحوي، ولغوي، وغيرهم-» اهـ.

وقال أبو الطيب العظيم آبادي في عون المعبود شرح سنن أبي داود (٧/ ٣٥٦ - ٣٥٩):

«قال العلقمي في شرحه: معنىٰ التجديد: إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاها.

فظهر أنَّ المجدد لا يكون إلا من كان عالمًا بالعلوم الدينية، ومع ذلك من كان عَزْمُه وهمّته آناء الليل والنهار إحياء السنن ونشرها، ونصر صاحبها، وإماته البدع ومحدثات الأمور ومحوها، وكسر أهلها باللسان، أو تصنيف الكتب

والتدريس، أو غير ذلك، ومن لا يكون كذلك، لا يكون مجددًا البتة، وإن كان عالمًا بالعلوم مشهورًا بين الناس، مرجعًا لهم» اهـ.

وقال علي القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٤٦١- ح: ٢٤٧):

«**علىٰ رأس كل مائة سنة** - أي: انتهائه أو ابتدائه إذا قلّ العلم والسنة، وكثر الجهل والبدعة - **من يجدد** - مفعول يبعث - **لها** - لهذه الأمة - **دينها** - أي: يُبين السنة من البدعة، ويكثر العلم ويعز أهله، ويقمع البدعة ويكسر أهلها.

قال صاحب جامع الأصول (أي: ابن الأثير): والأوْلىٰ الحمل علىٰ العموم ؛ فإن لفظة - من - تقع علىٰ الواحد والجمع.

والأظهر عندي والله أعلم: أن المراد بمن يُجدد ليس شخصًا واحدًا، بل المراد به جماعة يجدد كل أحد في بلد في فنٍّ من الفنون من العلوم الشرعية ما تيسر له من الأمور التقريرية أو التحريرية، ويكون سببًا لبقائه وعدم اندارسه وانقضائه إلىٰ أن يأتي أمر الله.

ولا شك أن هذا التجديد أمر إضافي؛ لأن العلم كل سنة في التنزّل، كما أنَّ الجهل كل عام في الترقي، وإنما يحصل ترقي علماء زماننا بسبب تنزل العلم في أواننا وإلا فلا مناسبة بين المتقدمين والمتأخرين علمًا وعملًا وحلمًا وفضلًا وتحقيقًا وتدقيقًا لما يقتضي البعد عن زمنه -عليه الصلاة والسلام-، كالبعد عن محل النور يوجب كثرة الظلمة وقلة الظهور، ويدل عليه ما في البخاري عن أنس مرفوعًا: «**لا يأتي علىٰ أمتي زمان إلا الذي بعده شرّ منه**»[1]، وما في الطبراني عن ابن عباس قال: (**ما من عام إلا ويُحدث الناسُ بدعة ويميتون سنة، حتىٰ تُمات السنن وتحيا البدع**) (ثم قال علىٰ حديث الباب) رواه أبو داود والطبراني في

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧٠٦٨)، وطرفه: «**اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان...**» الحديث.

الأوسط وسنده صحيح ورجاله ثقات كلهم، وكذا صححه الحاكم»اهـ.

وعليه، فقد اتفقت كلمة المفسرين والشرَّاح علىٰ أنَّ التجديد إنما هو: تبيين السنن وإحياؤها، وإماتة البدع وقمعها وكسر أهلها؛ إذ أنَّ إحياء البدع إماتة للسنن، ولا تكون السنن إلا بموت البدع وقهر أهلها، الذين هم سبب الفتن والملاحم يقينًا، وثورات الخريف العربي وما حدث فيها من الفتن والبلايا خير شاهد علىٰ ذلك .

ولقد ذكر شيخ الإسلام هذا الحديث في مجموع الفتاوىٰ، في معرض حديثه عن الغربة فقال بعد ذكره (١٨/ ٢٩٧):

«والتجديد إنما يكون بعد الدروس، وذاك هو غربة الإسلام .

وهذا الحديث يفيد المسلم أنه لا يغتم بقلّة من يعرف حقيقة الإسلام، ولا يضيق صدره بذلك، ولا يكون في شك من دين الإسلام، كما كان الأمر حين بدأ، قال تعالىٰ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ﴾ [يونس:٩٤]» اهـ.

قلت: وهذا هو الوجه -والله أعلم- في صنيع المحدثين في ورود هذا الحديث في كتاب الفتن والملاحم، إذ المعروف عند أهل الصنعة الحديثية، أن المحدث يروي الحديث المعين، ويبوّب له علىٰ حسب ما يفهمه ويستنبطه من معاني ومفاهيم الحديث؛ فإن من أعظم الفتن كثرة الجهل وقلة العلم، وإماتة السنن وإحياء البدع، فإنَّ هذا هدمٌ لعرىٰ الإسلام وأصل الملة، فهل هناك مصيبة أشد من ذلك؟!

ومن ثم، فبالعلماء تُدفع الفتن، وتُزال النِّقم، ويستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم، ويؤكد ذلك:

ما رواه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن (٤٠٤٩) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**يَدْرُسُ الإسلام كما يدرس وَشْي الثوب حتىٰ لا يُدرىٰ ما صيام وما صلاة ولا نسك ولا صدقة، وَلَيُسرىٰ علىٰ كتاب الله ﷻ في ليلة فلا يبقىٰ في الأرض منه آية، وتبقىٰ طوائف من الناس، الشيخ الكبير والعجوز، يقولون أدركنا آباءنا علىٰ هذه الكلمة: لا إله إلا الله فنحن نقولها**».

فقال له صِلَةٌ ما تُغني عنهم: لا إله إلا الله، وهم لا يدرون ما صلاةٌ ولا صيامٌ ولا نُسك ولا صدقة ؟ فأعرض عنه حذيفة ثم ردّها عليه ثلاثًا، كل ذلك يُعْرِضُ عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة قال: «**يا صلة ! تنجيهم من النار**» ثلاثًا.

قال البوصيري في الزوائد: «إسناده صحيح ورجاله ثقات».

ورواه الحاكم في المستدرك (٨٦٣٦) وقال: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرّجاه» ووافقه الذهبي في التلخيص فقال: «علىٰ شرط مسلم».

قال السِّنْدي في شرحه (٤/ ٣٨٤):

«قوله: (**يدرس الإسلام**) من درس الرسم دروسًا إذا عفا وهلك، ومن درس الثوب درسًا إذا صار عتيقًا باليًا؛ ويؤيد الثاني قوله: (**وَشْيُ الثوب**) وهو بفتح فسكون: نقشه، (**وليسرىٰ**) من السراية أي: الدرس أو الدروس يسري ليلة علىٰ كتاب الله» اهـ.

وَتَجِدُ ذلك جليًّا فيما رواه البخاري في صحيحه (٧٠٦٣) ومسلم (٢٦٧٢) عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ بين يدي الساعة أيامًا يُرفع فيها العلم، وينزل فيها الجهل، ويكثر فيها الهَرْجُ، والهرج القتل**».

روىٰ مسلم هذا الحديث في كتاب العلم، ورواه البخاري في كتاب الفتن.

فظهر جليًّا تأثير العلماء الرّبانيين السائرين علىٰ الكتاب والسنة بفهم وهدي سلف الأمة، في الفتن سلبًا وإيجابًا، وأنَّ بهم يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم،

ومعادهم ومعاشهم ؛ فلقد بيّن ﷺ في حديث أبي موسىٰ المذكور آنفًا، الصلة والتلازم بين رفع العلم وكثرة القتل الذي يكون بكثرة الجهل، ومن أعظم الجهل البدع.

قال شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص:٢٥):

«العلم هو السنة، والجهل هو البدعة ».

وهذا بفضل الله ومنّه والذي لا تتم الصالحات إلا به كتابي التاسع في سلسلة تصحيح المعتقد، والتي ابتدأتها قبيل هذه الثورة المشئومة المنكوبة النَكِدَة، إلىٰ يوم الناس هذا، تابعت في كل كتاب فيها الأحداث الجارية في وقتها، فبينت فيها ما يسَّر العليم الحكيم سبحانه بيانه؛ نصيحة لله وفي الله وبالله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم.

ولم يمنعني كثرة أهل الباطل والفساد والمحدثات والأهواء، وعلمي أنَّ جُلّ الأمة علىٰ خلاف ما كتبت وما أقول؛ ولم تمنعني جيوش دعاة الفتنة والتهييج بعُدَّتهم، وقنواتهم الفضائية، وحب الناس لهم؛ فهم غثاء، لأني علىٰ يقين أن التلازم لا يكون بين الكثرة والحق، بل بينها وبين الباطل ؛ قال تعالىٰ: ﴿**وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ**﴾ [الأنعام:١١٦]، وقال سبحانه: ﴿**وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ**﴾ [يوسف:١٠٣] وقوله ﷺ الذي رواه البخاري في صحيحه (٧٣١١) ومسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق لا يضرهم من خذلهم، حتىٰ يأتي أمر الله وهم كذلك**» والطائفة تبدأ من الواحدِ فما فوقه.

وفي رواية عند مسلم (١٩٢٢) عن جابر بن سمرة مرفوعًا:

«**لن يبرح هذا الدين قائمًا، يقاتل عليه عِصَابَة من المسلمين حتىٰ تقوم**

الساعة» والعصابة الجماعة من الناس.

وكذلك ما رواه مسلم في صحيحه (٢٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**عُرضت عليّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرُّهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد**».

فيرسل الله النبي فيدعو قومه حتىٰ يتوفَّاه الله ولم يؤمن معه أحد، وكيف لا، وقد ظل نوح عليه السلام ألف سنة إلا خمسين عامًا ولم يؤمن معه إلا ثلاثمائة وثلاثة عشر !!!، قال تعالىٰ علىٰ إبراهيم: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ﴾ [العنكبوت: ٢٦] أي فحسب وقال تعالىٰ: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [يس:٣٠].

فإنما هي المعذرة إلىٰ الله، كما قصَّ علينا -جل وعلا- قصَّة أصحاب السبت فقال: ﴿وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١١٤].

وذلك لأن منهج أهل السنة والجماعة: أن المرء يفعل ما أُمر به من إنكار المنكر والدعوة إلىٰ الله علىٰ بصيرة وفهم وعلم، وليس عليه إلا هذا، فنحن غير مطالبين بالنتائج، وليس لنا علىٰ قلوب الناس عهد بالهداية، بل نفعل ما علينا ولا علينا، قال تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص:٥٦].

فإذا كان ذلك كذلك، فهو قوله تعالىٰ لنبيّه نوح عليه السلام: ﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [هود:٣٦] وهذا قوله سبحانه إلىٰ كل داعية إلىٰ الله علىٰ بصيرة، في زمن غربة الغُرب، وكُربة الكرب، ﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ أما يكفيك بأن تكون من الطائفة الظاهرة علىٰ الحق بإذن الله تعالىٰ، من عصابة الهدي والرشاد، أما سمعت قوله ﷺ: «**لا يضرُّهم من خذلهم**»؟

فأنس بالغربة، وتقوَّىٰ بالوحدة؛ فإن معك الواحد الأحد.

المهم في الموضوع: أن تكون علىٰ منهج النبوة، فالتزم بأوامره، واجتنب

نواهيه، وقف عند حدوده، وتعبد إلىٰ الله بفهم وهدي وسنة سلفك الكرام ﷺ، ولا تلتفت عن ذلك يمنة ولا يسرة، ﴿وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٥]، وشارك في قافلة التجديد بإحياء سنة، وإماتة بدعة، ولو قُتِّلت أو حُرِّقت، فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، وجرِّد التوحيد للواحد القهّار، وادع لذلك.

فإنه لمَّا قام البوذيُّون بتقتيل وتحريق وتمزيق المسلمين في بورما، وقد بدءوا بالدعاة إلىٰ الله، ثم بالنساء والأطفال والشيوخ والشباب، خرج دعاة الفتنة والتهييج يصرخون وهم مستنكرون، وما فعله البوذيُّون المشركون الذين لا يرقبوا في مؤمن إلًّا ولا ذمة، إنما هو جزء من مائة جزء مما تسبب فيه هؤلاء في خراب البلاد والعباد، ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون، أو علموا بعدما أدبرت الفتن، وقد أكلت الأخضر واليابس، فندموا حيث لا ينفع الندم، ولات حين مندم!!!

فكانت خطبهم الرنَّانة المؤثرة في قلوب العوام - أتباع كل ناعق، وقود الفتن، وحطب نارها، وبهم تؤجج- كانت صرخاتهم وحُرقتهم علىٰ أهل بورما، السبب الذي استفزَّني لكتابة هذه السطور؛ لننظر إلىٰ الأمور: نظرة عن كَثَبٍ - يعني عن قُرب وتكن- لتنجلي حقيقة دعاة الضلالة، المفسدون في الأرض باسم الدين، الممزقون عُرىٰ الدين المصون، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤]، ليس هذا فحسب، بل فجيعة أخرىٰ قامت بها إحدىٰ قنوات الضِّرَار، التي تضر بالمسلمين وتفسد عليهم عقيدتهم وتُلبِّس عليهم دينهم الذي ارتضاه الله لهم علىٰ فطرتهم الصحيحة، ويأتي الكلام علىٰ ذلك في حينه بإذن الله؛ ليس هذا فحسب، بل ما فعلوه هذه الأيام من تأليب الغرب الكافر علىٰ الأمة من قتلهم لسفير أمريكا بليبيا؛ حتىٰ يعطوهم المبرر الفعلي للقضاء علىٰ كلِّ موحِّد، كيف لا وأمريكا سيدة الطغاة في العالم اليوم، وقد كسروا كرامتها بفعلتهم هذه، وليس هناك استفزاز أعظم من هذا، ولينظر العالم كم سيموت من المسلمين بسبب قتله، وهكذا منهج الخوارج: الإفساد

العام من حيث يريدون الإصلاح.

ليس هذا فحسب، بل لبيان أن دعاة الفتنة والضلالة يحرقون أنفسهم، ويفسدون أمرهم بقولهم وفعلهم كما قال تعالىٰ علىٰ بني إسرائيل: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]، ولبيان أن دعاة أهل السنة والجماعة أرحم بالأمة وبدعاة الفتنة من رحمتهم بأنفسهم، وأنفع لهم وأصلح من نفعهم وإصلاحهم لأنفسهم، وأنصح وأهدىٰ سبيلًا، فكان لابد من البيان؛ ليستقيم ولتستبين حقيقة الدين، فكانت رسالتي هذه.

روىٰ البخاري في صحيحه (٤٣٥١) ومسلم (١٠٦٢) واللفظ له من حديث جابر بن عبد الله قال: أتىٰ رجلٌ رسولَ الله ﷺ بالجعرانة مُنْصَرَفُهُ من حُنَيْنٍ، وفي ثوب بلالٍ فضة، ورسول الله ﷺ يقبض منها، يُعطي الناس، فقال: يا محمد! اعدل. (وفي رواية البخاري): يا رسول اللهِ اتق الله. قال رسول الله ﷺ: «**ويلك! ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل**» فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله! أقتل هذا المنافق، فقال: «**معاذ الله! أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إنَّ هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية**».

وفي رواية البخاري: «**يخرج من ضئضئ هذا قومٌ يتلون كتاب الله رطبًا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود**».

قال الحافظ في الفتح (٨/ ٧٨):

«وهذا الرجل قيل اسمه حرقوص بن زهير السعدي، قوله: (**يخرج من ضئضئ**) فالمراد به النسل والعقب، قوله: (**يمرقون من الدين**): المراد أنهم يخرجون من طاعة الإمام كما يخرج السهم من الرمية، وهذه صفة الخوارج الذين

كانوا لا يطيعون الخلفاء، والذي يظهر أن المراد بالدين الإسلام» اهـ.

وقال النووي في شرح مسلم (٧/ ١٢٧):

«قوله ﷺ: **(يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم)** قال القاضي: فيه تأويلان: أحدهما: معناه: لا تفقهه قلوبهم، ولا ينتفعون بما تلوا منه، ولا لهم حظ سوىٰ تلاوة الفم والحنجرة والحلق، إذ بهما تقطيع الحروف، والثاني: معناه: لا يصعد لهم عملٌ، ولا تلاوة، ولا يتقبل» اهـ

قلت: وهكذا حال بني حرقوص، التردد بين أمرين: عدم الفقه مع عدم صعود العمل.

* * *

خُطَّة البحث

ولقد أقمت هذا البحث -بحول الله وقوته والذي لا تتم الصالحات إلا به - علىٰ ثلاث دعائم وخاتمة:

*** الدعامة الأولىٰ: وقعة الحرَّة وأعظم الغدر.**

وتتفرع منها ست نقاط:

١- العالم الرباني شهيد علىٰ قومه.

٢- القرآن تبيان لكل شيء.

٣- أعظم الغدر نقض العهود.

٤- وقعة الحرَّة وشؤم الغدر وشؤم الخروج علىٰ الحكام.

٥- ما أشبه الليلة بالبارحة.

٦- الخوارج يضرُّون بأنفسهم؛ فإن الطبع غلَّاب.

٧- ويل للأتباع من عثرات الرجال.

*** الدعامة الثانية: المسلمون بين دعاة الفتنة وبوذيٍّ بورما والغرب الكافر.**

وتحتها أربع نقاط:

١- البلاء قسيم الإيمان.

٢- وهو القاهر فوق عباده.

٣- بورما وقاهرية القهَّار.

٤- دعاة الفتنة والإفساد في الأرض.

٥- حمية الخوارج الممقوتة الجاهلية، والفيلم المسيء للرسول ﷺ.

*** الدعامة الثالثة: كيف تُرحم الأمة؟**

وتحتها ست نقاط:

١- حسن الاستماع والإنصات إلىٰ القرآن أوَّل وأهم أسباب الرحمة.

٢- لزوم طاعة الله ورسوله وهي حسن القنوت.

٣- تقوىٰ الله وكثرة الاستغفار.

٤- خشية الرحمن.

٥- أخذ الكتاب بقوة.

٦- اتباع منهج السلف الكرام رضي الله عنهم وأخذ الديانة عن طريقهم، وترك الابتداع، ولا تكون النقاط الخمس إلا في ضوء هذه النقطة.

*** خاتمة البحث.**

أسأل الله -جل وعلا- أنْ يبارك في هذا البحث وينفع به المسلمين، ويهدي به إلىٰ الصراط المستقيم، والمنهج القويم، فيؤمَرَ به بالمعروف ويُنه عن المنكر، ويُرشد به إلىٰ سواء السبيل، علىٰ مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

* * *

الدّعامةُ الأولى
وَقْعَةُ الحَرَّةِ وأعْظَمُ الغَدْر

* أولاً: العالم الربَّاني شهيد على قومه:

قال العليم الحكيم:

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ ﴾ [النحل: ٨٩ - ٩٢]. ثم قال تعالىٰ:

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل: ٩٤].

قال القرطبي في جامعه (١٠/ ١٢٠):

«قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ وهم الأنبياء. شهداء علىٰ أممهم يوم القيامة بأنهم قد بلغوا الرسالة ودَعَوْهم إلىٰ الإيمان، في كل زمان شهيد وإن لم يكن نبيًّا؛ ففيهم قولان:

أحدهما: أنهم أئمة الهدىٰ الذين هم خلفاء الأنبياء.

الثاني: أنهم العلماء الذين حفظ الله بهم شرائع أنبيائه.

قلت: فعلىٰ هذا لم تكن فترة إلا وفيها مَن يوحد الله، كقس بن ساعدة،

وزيد بن عمرو بن نفيل، الذي قال فيه النبي ﷺ: «**يبعث أمة وحده**»[(١)]، وورقة بن نوفل، فهؤلاء ومن كان مثلهم حجة علىٰ أهل زمانهم وشهيد عليهم» اهـ.

قلت: وعليه، فإن العالم الربَّاني، وهو العالم العامل، المقتدي في كل شأنه وأمره بالكتاب والسنة بفهم وهدي سلف الأمة، والذي تدور دعوته ومنهجه علىٰ هذه الآيات الثلاث:

١- قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

٢- وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٣- وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

هذا العالم فحسب، هو الذي يُقيم الله به الحجة علىٰ خلقه؛ بما ورثه من منهاج النبوة الحق، وهو رسولُ رسولِ الله ﷺ، به يُعرف الحق من الباطل، والهدىٰ من الضلال، والرشاد من الغي، والسنة من البدعة، والاتباع من الابتداع.

قال تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥] وقال: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

وكذلك، الدعاة إلىٰ الله علىٰ بصيرة وفقه وعلم، علىٰ منهاج النبوة، علىٰ مثل

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٥٨٥١، ٥٨٥٦) وسكت عنه هو والذهبي، ورواه أحمد في المسند (١٦٤٨)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٤١٧): «رواه أحمد، وفيه المسعودي وقد اختلط، وبقية رجاله ثقات» اهـ. ورواه أحمد بسند صحيح بعد ذلك (٥٣٦٩) بمعناه، كما قال العلامة أحمد شاكر ؛ لذلك صححه.

ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه -رضوان الله عليهم- علىٰ سبيل ونهج العلماء الربانيين شهداء علىٰ الأمة أيضًا.

فإذا خالف العالم الصحابة، فهو عالم سوء وضلالة.

قال الإمام أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ **في كتابه: عقيدة السلف وأصحاب الحديث:** «العلم هو السنة، والجهل هو البدعة».

وقد أُمرنا باتباع هديهم وسنتهم والتمسك بها أيّما تمسك، والعضِّ عليها بالنواجذ وعدم مخالفتها؛ فإن مخالفتها هلاك وضلال؛ فخير الهدي هدي محمد ﷺ وصحبه رضي الله عنهم.

* ثانيًا: القرآن تبيان لكل شيء:

قال الإمام ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٧٦):

«وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

قال ابن مسعود: وقد بيَّن لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء.

وقال مجاهد: كل حلال وحرام.

وقول ابن مسعود أعمّ وأشمل؛ فإن القرآن اشتمل علىٰ كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس محتاجون إليه في أمر دنياهم، ودينهم، ومعاشهم ومعادهم.

﴿وَهُدًى﴾ أي: للقلوب ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

قال الأوزاعي: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ أي: بالسُّنَّة[1].

ووجه اقتران قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ مع قوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ٤١]: أن المراد -والله أعلم-: أنَّ الذي فرض عليك تبليغ الكتاب

---

(١) لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٥].

الذي أنزله عليك، سائلك عن ذلك يوم القيامة؛ ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣].

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ﴾ [القصص: ٨٥] أي: الذي أوجب عليك تبليغ القرآن لرادُّك إليه، ومعيدك يوم القيامة، وسائلك عن أداء ما فرض عليك، هذا أحد الأقوال، وهو مُتَّجه حسن» اهـ.

وقال العلامة السعدي في تفسيره (٤٤٧):

«وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين، وكل ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبيين، بألفاظ واضحة، ومعان جلية، حتىٰ إنه تعالىٰ يثني فيه الأمور الكبار؛ التي يحتاج القلب لمرورها عليه كل وقت، وإعادتها كل ساعة، ويعيدها ويبديها بألفاظ مختلفة وأدلة متنوعة؛ لتستقر في القلوب فتثمر من الخير والبر بحسب ثبوتها في القلب، وحتىٰ إنه تعالىٰ يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرة، يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس، واعتبر هذا بالآية التي بعد هذه الآية[1]، وما فيها من أنواع الأوامر والنواهي التي لا تحصىٰ، فلما كان هذا القرآن تبيانًا لكل شيء، صار حجة الله علىٰ العباد كلهم، فانقطعت به حجة الظالمين، وانتفع به المسلمون، فصار هدىٰ لهم يهتدون به إلىٰ أمر دينهم ودنياهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة.

---

(١) وهي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

فالهدىٰ ما نالوه به من علم نافع، وعمل صالح، والرحمة ما ترتب علىٰ ذلك من ثواب الدنيا والآخرة، كصلاح القلب وبره وطمأنينته، وتمام العقل الذي لا يتم إلا بتربيته علىٰ معانيه، التي هي أجلُّ المعاني وأعلاها، والأعمال الكريمة، والأخلاق الفاضلة، والرزق الواسع، والنصر علىٰ الأعداء بالقول والفعل، ونيل رضا الله تعالىٰ، وكرامته العظيمة التي لا يَعلم ما فيها من النعيم المقيم إلا الربُّ الرحيم» اهـ.

وقال القرطبي في تفسيره (١٠/ ١٢١):

رُوي عن عثمان بن مظعون أنه قال: لما نزلت هذه الآية قرأتها علىٰ عليٍّ بن أبي طالب ﵁ فقال: يا آل غالب اتبعوه تفلحوا، فوالله إنَّ الله أرسله ليأمركم بمكارم الأخلاق.

وفي حديث: إنَّ أبا طالب لما قيل له: إن ابن أخيك زعم أنَّ الله أنزل عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ الآية، قال: اتبعوا ابن أخي، فوالله إنه لا يأمر إلا بمحاسن الأخلاق.

قال عثمان بن مظعون: ما أسلمت ابتداء إلا حياء من رسول الله ﷺ حتىٰ نزلت هذه الآية، وأنا عنده فاستقر الإيمان في قلبي، فقرأتها علىٰ الوليد بن المغيرة فقال: ياابن أخي، أعد! فأعدت فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنَّ أصله لمُورِق، وأعلاه لمثمر، وما هو بقول بشر!

وقال ابن مسعود: أجمع آية في القرآن لخير يُمتثل، ولشر يجتنب.

وقد اختلف العلماء في تأويل العدل والإحسان.

فقال ابن عباس: العدل لا إله إلا الله، والإحسان أداء الفرائض.

وقيل: العدل الفرض، والإحسان النافلة.

وقال سفيان بن عيينة: العدل ههنا استواء السريرة، والإحسان أن تكون

السريرة أفضل من العلانية.

وقال علي بن أبي طالب: العدل الإنصاف، والإحسان الفضل.

قال ابن عطية: العدل هو كل مفروض من عقائد وشرائع في أداء الأمانات، وترك الظلم، والإنصاف، وإعطاء الحق، والإحسان: هو فعل كل مندوب إليه، فمن الأشياء ما هو كله مندوب إليه، ومنها ما هو فرض، إلا أنَّ حدَّ الإجزاء منه داخل في العدل، والتكميل الزائد علىٰ الإجزاء داخل في الإحسان، ولقد تضمنت هذه الآية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» اهـ.

* ثالثًا: أعظم الغدر نقض العهود:

وقال العلامة السعدي في تفسيره (ص٤٤٧) زيادة علىٰ المعاني المتقدمة:

«وقوله: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ وهو كل ذنب عظيم استفحشته الشرائع والفطر، كالشرك بالله، والقتل بغير حق، والزنا، والسرقة، والعجب، والكبر، واحتقار الخلق، وغير ذلك من الفواحش.

ويدخل في المنكر كل ذنب ومعصية متعلق بحق الله تعالىٰ.

وبالبغي: كل عدوان علىٰ الخلق في الدماء والأموال والأعراض.

فصارت هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات، لم يبق شيء إلَّا دخل فيها، فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة مشتملة علىٰ عدل أو إحسان أو إيتاء ذي القربىٰ، فهي مما أمر الله به.

وكل مسألة مشتملة علىٰ فحشاء أو منكر أو بغي، فهي مما نهىٰ الله عنه، وبها يُعلم حسن ما أمر الله به، وقبح ما نهىٰ عنه، وبها يعتبر ما عند الناس من الأقوال، وترد إليها سائر الأحوال، فتبارك من جعل في كلامه الهدىٰ والشفاء والنور، والفرقان بين جميع الأشياء.

ولهذا قال: ﴿يَعِظُكُمْ﴾ به، أي: بما بيَّنه لكم في كتابه، بأمركم بما فيه غاية

صلاحكم، ونهيكم عما فيه مضرتكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ما يعظكم به فتفهمونه وتعقلونه، فإنكم إذا تذكرتموه وعقلتموه، عملتم بمقتضاه، فسعدتم سعادة لا شقاوة معها. فلما أمر بما هو واجب في أصل الشرع، أمر بوفاء ما أوجبه العبد علىٰ نفسه فقال: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ...﴾ وهذا يشمل جميع ما عاهد العبد عليه ربه، من العبادات والنذور والأَيمان التي عقدها، إذا كان الوفاء بها برًّا، فعليه في جميع ذلك الوفاء وتتميمها مع القدرة؛ ولهذا نهىٰ الله عن نقضها فقال: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ بعقدها علىٰ اسم الله تعالىٰ.

﴿ وَلَا تَكُونُواْ ﴾ في نقضكم للعهد بأسوأ الأمثال وأقبحها وأدلّها علىٰ سفه متعاطيها وذلك ﴿كَٱلَّتِى ﴾ تغزل غزلًا قويًّا، فإذا استحكم وتمَّ ما أريد منه نقضته فجعلته ﴿أَنكَاثًا ﴾ فتعبت علىٰ الغزل، ثم علىٰ النقض، ولم تستفد سوىٰ الخيبة والعناء وسفاهة العقل ونقض الرأي، فكذلك من نقض ما عاهد عليه، فهو ظالم جاهل سفيه ناقص الدين والمروءة.

وقوله: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ ﴾ أي: لا ينبغي هذه الحالة منكم، كل ذلك دورانًا مع أهوية النفوس، وتقديمها لها علىٰ مراد الله منكم، وعلىٰ المروءة الإنسانية والأخلاق المرضية، وهذا ابتلاء من الله وامتحان يبتليكم الله به، حيث قيَّض من أسباب المحن الذي يمتحن به الصادق الوفي من الفاجر الشقي.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ ﴾ وعهودكم ومواثيقكم تبعًا لأهوائكم، متىٰ شئتم وفَّيتم بها، ومتىٰ شئتم نقضتموها، فإنكم إذا فعلتم ذلك، تزل أقدمكم بعد ثبوتها علىٰ الصراط المستقيم، ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ ﴾ أي: العذاب الذي يسوءكم ويحزنكم ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ حيث ضللتم غيركم» اهـ.

قال القرطبي في جامعه (١٠/ ١٢٥):

«قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا ﴾ النقض والنكث واحد، والاسم النكث والنقض، والجمع أنكاث.

فشبَّهت هذه الآية الذي يحلف ويعاهد ويُبرم عهده ثم ينقضه بالمرأة تغزل غزلها وتفتله محكمًا ثم تَحُلُّه.

قال مجاهد وقتادة: وذلك ضرب مثل لا علىٰ امرأة معينة.

والدَّخل: الدَّغل والخديعة والغش، قال أبو عبيد: كل أمر لم يكن صحيحًا فهو دخل» اهـ.

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٧٨):

«وهذا مما يأمر الله تعالىٰ به، وهو الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة علىٰ الأيمان المؤكدة؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا صخر بن جُوَيرية عن نافع قال:

أما بعد، فإنَّا قد بايعنا هذا الرجل علىٰ بيعة الله ورسوله، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الغادر يُنصب له لواء يوم القيامة، فيقال هذه غدرة فلان**» وإن من أعظم الغدر -إلا أن يكون الإشراك بالله- أن يبايع رجل رجلًا علىٰ بيعة الله ورسوله، ثم ينكث بيعته، فلا يخلعن أحد منكم يزيد، ولا يُشرفن أحد منكم في الأمر، فيكون صَيْلم بيني وبينه[1]. والمرفوع منه في الصحيحين[2].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ تهديد ووعيد لمن نقض الأيمان بعد توكيدها» اهـ.

والحديث الذي ذكره ابن كثير من رواية الإمام أحمد رواه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، باب: تحريم الغدر، والبخاري (٣١٨٦) باب: إثم الغادر لِلْبَرِّ والفاجر، ورواه الإمام البغوي في شرح السنة في كتاب الإمارة والقضاء، باب وعيد الغدر.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥٠٨٨) بإسناد صحيح كما قال العلامة أحمد شاكر عن ابن عمر من قوله، أما المرفوع فرواه الترمذي في سننه (٢/ ٣٩١) وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢) البخاري (٦١٧٨) ومسلم (١٢/ ١٧٣٦).

قال البغوي (٥/ ٣١٨):

«باب وعيد الغدر: قال الله ﷻ: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٣٢] والخَتْرُ: الغدر، يقال: الختر: الفساد يكون ذلك في الغدر وغيره» اهـ.

ثم روىٰ الحديث.

وقول ابن عمر رضي الله عنه: «فيكون صَيْلم بيني وبينه».

قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٤٦) (صلم):

«وفي حديث ابن عمر: (فتكون الصيلم بيني وبينه) أي: القطيعة المنكرة، والصيلم: الداهية، والياء زائدة» اهـ.

قال الحافظ في الفتح علىٰ قول ابن عمر: (علىٰ بيع الله ورسوله): (١٣/ ٦٠):

«أي: علىٰ شرط ما أمر الله ورسوله به من بيعة الإمام، وذلك أنَّ من بايع أميرًا فقد أعطاه الطاعة وأخذ منه العطية، فكان شبيه من باع سلعة وأخذ ثمنها» اهـ.

ذكر ذلك العلامة أحمد شاكر في تحقيق المسند عند الحديث.

وهذا الذي قال ابن عمر الإمام الفقيه العالم الرباني رضي الله عنه، إنما قاله في وقعة الحرّة قبل أن يحدث الشر المستطير، عندما خرج أهل المدينة علىٰ أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، قاله تحذيرًا ووعيدًا؛ لينجو وأهله من شؤم الخروج علىٰ ولي الأمر، فصدق ونصح.

* رابعًا: وقعة الحرَّة وشؤم الغدر، وشؤم الخروج على الحكام:

قال ابن كثير في تاريخه: البداية والنهاية (٨/ ٥٨٨، وما بعدها) وهو يؤرخ لهذه المصيبة:

«ثم دخلت سنة ثلاث وستين: ففيها كانت وقعة الحرة، وكان سببها أنَّ أهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية وولوا علىٰ قريش عبد الله بن مطيع، وعلىٰ الأنصار عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر، فلما كان في أوَّل هذه السنة أظهروا ذلك

واجتمعوا عند المنبر، فجعل الرجل منهم يقول: قد خلعت يزيد كما خلعت عمامتي هذه، ويلقيها عن رأسه، ويقول الآخر: قد خلعته كما خلعت نعلي هذه، حتىٰ اجتمع شيء كثير من العمائم والنعال هناك، ثم اجتمعوا علىٰ إخراج عامل يزيد من بين أظهرهم، وهو عثمان بن محمود بن أبي سفيان ابن عم يزيد، وعلىٰ إجلاء بني أمية من المدينة، فاجتمعت بنو أمية في دار مروان بن الحكم، وأحاط بهم أهل المدينة يحاصرونهم، واعتزل الناسَ عليُّ بن الحسين (زين العابدين)، وكذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب لم يخلعا يزيد، ولا أحد من بيت ابن عمر، وقد قال ابن عمر لأهله: لا يخلعن أحد منكم يزيد فيكون الفيصل، ويروىٰ: الصيلم بيني وبينه.

وأنكر علىٰ أهل المدينة في مبايعتهم لابن مطيع وابن حنظلة علىٰ الموت، وقال: (إنما كنا نبايع رسول الله ﷺ علىٰ ألا نفر).

وكذلك لم يخلع يزيد أحد من بني عبد المطلب، وقد سئل محمد ابن الحنفية في ذلك فامتنع أشد الامتناع، وناظرهم وجادلهم في يزيد وردَّ عليهم ما اتهموا به يزيد من شرب الخمر وتركه بعض الصلوات[1].

---

(١) فانظر -رحمك الله- إلىٰ عدد من امتنع من الخروج والعصيان تجددهم نفرًا قليلًا، وجُلُّ المدينة عصوا الله ورسوله وخرجوا، ثم ارجع البصر إلىٰ ما حدث للأمة من الخروج العام والانقلابات الدولية ابتداء مما حدث بتونس في أواخر سنة (٢٠١٠م) ثم ما كان في مصر (٢٥ يناير/ ٢٠١١م) وانظر إلىٰ أهل الحق الذين منعوا وجادلوا الخارجين وأقاموا عليهم الحجة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، وما حدث لهم من السب والشتم والتسفيه، بل والضرب وإسالة الدماء، ثم ارجع البصر كرتين إلىٰ ما حدث من المصائب، من استباحة دماء الآلاف وانتهاك الأعراض وغير ذلك من المفاسد والشرور في الأُولىٰ هنالك في مدينة رسول الله ﷺ، وفي زمننا هذا؛ لتكتمل لك العبرة والعظة، ويهدي الله من يشاء إلىٰ صراط مستقيم.

وكتب بنو أمية إلىٰ يزيد بما هم فيه من الحصر والإهانة والجوع والعطش، وإنه إن لم يبعث إليهم من ينقذهم مما هم فيه، وإلا استُؤصلوا... فبعث يزيد إلىٰ مسلم بن عقبة المزني، فانتدب لذلك، وأرسل معه خمسة عشر ألف رجل واثنا عشر ألف فارس، فقال النعمان بن بشر: يا أمير المؤمنين، ولِّني عليهم أكفك، فقال يزيد: لا! ليس لهم إلا هذا الغشمة[1]، والله لأقتلنهم بعد إحساني إليهم وعفوي عنهم مرة بعد مرة. فقال النعمان: يا أمير المؤمنين، أنشدك الله في عشيرتك وأنصار رسول الله ﷺ . وقال له عبد الله بن جعفر: أرأيت إن رجعوا إلىٰ طاعتك أيقبل منهم؟ قال: إن فعلوا فلا سبيل عليهم، وقال يزيد لمسلم بن عقبة، -وإنما يسميه السلف مسرف بن عقبة-: ادع القوم ثلاثًا فإن رجعوا إلىٰ الطاعة فاقبل منهم وكفَّ عنهم، وإلا فاستعن بالله[2] وقاتلهم، وإذا ظهرت عليه فأبح المدينة ثلاثًا، ثم اكفف عن الناس... وسار مسلم بن عقبة بمن معه من الجيوش إلىٰ المدينة، وجاءه عبد الملك بن مروان فقال له: إن كنت تريد النصر فانزل شرقي المدينة في الحرَّة، فإذا خرجوا إليك كانت الشمس في أقفيتكم وفي وجوههم، فادعهم إلىٰ الطاعة، فإن أجابوك، وإلا فاستعن بالله وقاتلهم؛ فإن الله ناصرك عليهم إذ خالفوا الإمام وخرجوا عن الطاعة. فنزل شرقي المدينة في الحرة ودعا أهلها ثلاثة أيام، كل ذلك يأبون إلا المحاربة والمقاتلة، فلما مضت الثلاث قال لهم في اليوم الرابع - وهو يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين - قال لهم: يا أهل المدينة مضت الثلاث، وإنَّ أمير المؤمنين

---

(١) **الغشوم**: هو الشديد الظلم والقهر، والغشيم: الجاهل الذي يتصرف في الأمور بلا نظر ولا فكر. (المعجم الوجيز، ص: ٤٥).

(٢) قول يزيد: فاستعن بالله: نابع من معرفته لحق ولي الأمر عليهم من عدم الخروج عليه، فإن خرجوا عليه فقد خانوه، ومن قبل خانوا الله ورسوله، وهذا وجه قوله، وهو حق لا مرية فيه، إلا ما أحدثه من استباحة المدينة وما حدث من المفاسد بعد ذلك.

قال لي: إنكم أصله وعشيرته، وإنه يكره إراقة دمائكم، وأنه أمرني أن أؤجلكم ثلاثًا، فقد مضت، فماذا أنتم صانعون، أتسالمون أم تحاربون؟ فقالوا: بل نحارب، فقال: لا تفعلوا بل سالموا! [١] فقالوا: يا عدو الله، ثم تهيئوا للقتال: واقتتلوا قتالًا شديدًا، ثم انهزم أهل المدينة إليها، وقد قتل من الفريقين خلق من السادات والأعيان.

ثم أباح مسلم بن عقبة الذي يقول فيه السلف: مسروف بن عقبة- قبحه الله من شيخ سوء ما أجهله- المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد، لا جزاه الله خيرًا، وقتل خلقًا كثيرًا من أشرافها وقُرائها، وانتهب أموالًا كثيرة منها، ووقع شر عظيم وفساد عريض علىٰ ما ذكره غير واحد.

قال المدائني: وأباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة أيام، يقتلون من وجدوا من الناس، ويأخذون الأموال، فأرسلت سعدىٰ بنت عوف إلىٰ مسلم بن عقبة تقول له: أنا بنت عمك فمر أصحابك ألا يتعرضوا لإبلنا، فقال لأصحابه: لا تبدءوا إلا بأخذ إبلها أولًا، وجاءت امرأة فقالت: أنا مولاتك وابني في الأسارىٰ، قال: عجلوه لها، فضرب عنقه، وقال: أعطوها رأسه، أما ترضين ألا يقتل حتىٰ تتكلمي في ابنك؟ ووقعوا علىٰ النساء، حتىٰ قيل: إنه حبلت ألف امرأة في تك الأيام من غير زوج.

وقال المدائني عن عبد الله القرشي وأبي إسحاق التميمي قالا: لما انهزم أهل المدينة يوم الحرَّة صاح النساء والصبيان، فقال ابن عمر: **(بعثمان وربِّ الكعبة)**.

---

(١) بهذا، فقد أعذر يزيد أهل المدينة وأقام عليهم الحجة قبل قتالهم، فأبوا إلا القتال، فماذا ينتظر الناس من حاكم اغتصبوا منه ولايته، وهددوا أهله وأقاربه بالموت والاستئصال، وعزلوا واليه؛ فإن هذا إغراء له علىٰ إخراج ما فيه من الشر الكامن، فلا يلوموه؛ بل يلوموا أنفسهم، ولا يرجعوا بالتبعة إلا علىٰ فعلتهم وعصيانهم.

وعن الزهري أنه سُئل: كم كان القتلىٰ يوم الحرة؟ قال: سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار، ووجوه الموالي وممن لا أعرف من حر وعبد وغيرهم عشرة آلاف.

وقد أخطأ يزيد خطأً فحشًا في قوله لمسلم بن عقبة أبح المدينة ثلاثة أيام، وهذا خطأ كبير فاحش، مع ما انضم إلىٰ ذلك من قتل خلق من الصحابة وأبنائهم، وقد تقدم أنه قتل الحسين وأصحابه[1] علىٰ يدي عبيد الله بن زياد.

وقد وقع في هذه الثلاثة أيام من المفاسد العظيمة في المدينة النبوية ما لا يُحد ولا يوصف مما لا يعلمه إلا الله ﷻ.

وأما ما يذكره بعض الناس من أن يزيد لما بلغه خبر أهل المدينة وما جرىٰ عليهم عند الحرَّة من مسلم بن عقبة وجيشه، فرح بذلك فرحًا شديدًا؛ فإنه كان يرىٰ أنه الإمام وقد خرجوا عن طاعته، وأقروا عليهم غيره، فله قتالهم حتىٰ يرجعوا إلىٰ الطاعة ولزوم الجماعة، كما أنذرهم بذلك علىٰ لسان النعمان بن بشير ومسلم بن عقبة كما تقدم، وقد جاء في الصحيح: «**من جاءكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاقتلوه كائنًا من كان**»[2] » اهـ.

قلت: ومن المفاسد العظام التي حدثت غير الذي ذكره ابن كثير ضياع كثير من العلم، حياة الناس وروحها.

---

(١) والمعلوم من قصة مقتل الحسين -رضي الله عنه وأرضاه- أنه قُل بسبب خروجه، وقد راجعه طائفة من الصحابة كابن عباس وغيره وحذَّروه ونصحوه بعدم الخروج، فلما أبىٰ إلا أن يخرج، كان ما كان ثمرة لخطئه -رحمه الله تعالىٰ- وهكذا شؤم الخروج علىٰ مر العصور والدهور.

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة (١٨٥٢) عن رسول الله ﷺ. وفي رواية: «**من أتاكم وأمركم جميع علىٰ رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه**» وانظر: (دعاة الدم والهدم) لراقمه.

فقد روىٰ ابن عبد البر في جامعه (٢٢٠): عن عروة ابن الزبير بن العوام أنه أحرقت كتبه يوم الحرة وكان يقول: «وددت لو أنَّ عندي كتبي بأهلي ومالي».

وروىٰ أبو عمر في جامعه (٥٨١) عن الحسن البصري قال:

«العامل علىٰ غير علم كالسالك علىٰ غير طريق، والعامل علىٰ غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلبًا لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا تضروا بالعلم، فإن قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم حتىٰ خرجوا بأسيافهم علىٰ أمة محمد ﷺ، ولو طلبوا العلم لم يدلّهم علىٰ ما فعلوا».

* خامسًا: ما أشبه الليلة بالبارحة:

إن المتأمل فيما حدث في وقعة الحرة من أهل المدينة وما ردَّ به يزيد عليهم، تجده تمامًا فيما حدث للأمة من بعد (٢٥ يناير) إلىٰ يوم الناس هذا، ومسلسل الإبادة الجماعية المستمر لأهل السنة في سوريا من العلويين النصيريين الذين هم أشد كفرًا من اليهود والنصارىٰ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ- وقد فصلت القول في كل ذلك، وما حدث خلال السنتين الحزينتين في سلسلة تصحيح المعتقد من (١ إلىٰ ٨)؛ فأغنىٰ عن الإعادة هنا.

غير أني أتساءل سؤالًا فيما حدث في وقعة الحرة من شر مستطير عظيم مات علىٰ إثره أكثر من عشرة آلاف موحد، يعادل اليوم من المسلمين كنسبة وتناسب إلىٰ العدد الإجمالي للأمة الآن ما يقارب الملايين.

أقول: من الذي ينبغي أن يتحمل تبعة ما جرىٰ هناك، وكان المتسبب لما حدث والدافع له، والمنفِّر للطغاة والظلمة علىٰ ظلمهم وجورهم، وسفكهم للدماء، واستحلالهم للفروج بغير كلمة الله، واستباحتهم لحرم المدينة التي حرمها رسول الله ﷺ ؟! أهو يزيد، ومسرف بن عقبة، أم أهل المدينة وخلعهم ليزيد وخروجهم عليه، وتنفيرهم لشرِّه وطغيانه؟

أقول: هو الثاني بلا أدنىٰ مرية أو شك يطرأ علىٰ هذا.

وذلك هو شؤم مخالفة الله ورسوله ﷺ، والفساد المتولد من الخروج علىٰ الحكام، فإنَّ هؤلاء الخوارج الذين خرجوا قادوا أهل المدينة إلىٰ ما صاروا إليه، وكان خروجهم وخلعهم هو السلاح والسيف الذي قتلت به هذه الآلاف، واليد التي سرقت ونهبت الأموال، والفروج الغاصبة المستبيحة ما حرم الله ورسوله ﷺ، ومن ثم، فقد أهلك هؤلاء الخوارج أقوامهم، آباءهم، وأمهاتهم، وإخوانهم، وأبناءهم، ونساءهم، وبلادهم، وخيراتهم، ثم رجعوا باللائمة علىٰ يزيد وجيوشه وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، وهم في الحقيقة حائدون عن الحق والصواب، مائلون بأهلهم إلىٰ عظيم الفتن والتباب، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود: ١٠١].

قال أبو القاسم الأصفهاني في المفردات (ص٧٢):

«التبُّ والتباب: الاستمرار في الخسران، ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ غير تخسير» اهـ.

وعليه، فإن هناك تلازمًا بين الخروج والتباب، وإلىٰ الله المرجع والمآب.

قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قلت: وأيُّ فتنة أعظم من الإفساد في الأرض كمثل الذي حدث في مدينة رسول الله ﷺ للمهاجرين والأنصار ونسائهم وأمهاتهم، فإلىٰ الله المشتكىٰ.

ثم أقول: وأي فتنة أعظم من سقوط ليبيا وذهاب خيرها للصهيوصليبيين، وجعلها موقعًا ومركزًا منه تُضرب مصر وما حولها من البلاد العربية، ومن بعدها سوريا، حتىٰ تحاصر الأمة بين فكي الأساود الصبّ، بالإضافة إلىٰ الخطر الأعظم من الصهيوصليبية، وهو مارد الشيعة، الذي أُطلق له العنان ليفتك بأهل السنة فتكًا، تحت ستار المكر والخديعة والتقية.

* سادسًا: الخوارج يضرُّون أنفسهم؛ فإن الطبع غلاَّب:

لما قدَّر العزيز الحكيم -جل وعلا- انتهاء الأمر في مصرنا الحبيبة حفظها الله وحماها، بعد انتخابات الرئاسة بتولية حاكم البلاد علينا -حفظه الله وسدد خطاه، وبصَّره بالحق والهدىٰ والرشاد، وعلَّمه منهج أهل السنة والجماعة، وطبق به شرعه علىٰ مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم- كانت منه مسألة صرَّح بها، وهي مسألة تخالف الكتاب والسنة وإجماع المسلمين - ومن الجدير بالذكر أن أقول: إني ما أشرت إلىٰ هذه المسألة هنا إلا لأبني عليها ما سيأتي من الكلام، فلقد أعلنوا بها وطيَّروها كل مطيَّر- فخرج خوارج العصر بل رؤساؤهم الذين انتخبوا الرئيس -حفظه الله- وكانوا معه كظله في حملته الانتخابية، وتحديدًا محمد عبد المقصود في مصر، وياسر برهامي في الإسكندرية، فخرجا جهارًا نهارًا علىٰ قنواتهم الفضائية لينكروا المنكر علىٰ الملأ لطبعهم وعادتهم ويندوا بما كان في هذه المسألة ويقولون: ما علىٰ هذا بايعناك وانتخبناك، وما علىٰ هذا بايعك المصريون، وإن لم ترجع عنها سننفض أيدينا من بيعتك، سبحان ربنا العظيم!!!

فقلت وقتها: أبعيد حاكم الدولة من محمد عبد المقصود، فلم يتمكن من نصيحته في السر؛ فإن النصيحة علىٰ الملأ فضيحة، وإثارة للفتن، وتأليب للمسلمين عليه، وملءٌ للقلوب بالشر، فإن نصحاه سرًّا فقد أدَّا ما عليهما وعلىٰ الله التوفيق والسداد، وبهذا تُقدم المعذرة إلىٰ الله.

غير أنه تقديم للمعذرة إلىٰ جميع الناس، لأن السؤال الذي يطرح نفسه منهم إليهما: أليس هذا الذي دفعتمانا إلىٰ مبايعته وانتخابه؟

فقدما المعذرة علىٰ الملأ لكي تكون ردًّا ضمنيًّا علىٰ السؤال الكامن، المترتب علىٰ المسألة، ولا أرىٰ تفسيرًا لما عملاه إلَّا هذا.

فكادا بفعلهما أن يهدما الذي حاربوا من أجله، ولكن هكذا منهج الخوارج؛ فإنه مع الخوارج لا تنتهي الفواجع.

أما أهل السنة والجماعة السائرون علىٰ مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ إن أرادوا النصيحة أسرُّوا بها، كما فعل أسامة بن زيد لعثمان بن عفان ﷺ، من غير إثارة بابًا واحدًا للشرِّ.

روىٰ البخاري في صحيحه (٧٠٩٨) من حديث أبي وائل قال:

«قيل لأسامة: ألا تكلم هذا؟ قال: قد كلمته ما دون أن أفتح بابًا، أكون أوَّل من يفتحه».

قلت: ظاهر جدًّا أنهم ما علموا أنه كلم عثمان ونصحه؛ لأنه أسرَّها إليه، وظاهر جدًّا أيضًا أن هذا ليس منهجهم ولا طريقتهم، يظهر هذا في قوله ﷺ: «ما دون أن أفتح بابًا أكون أوَّل من يفتحه» فما فتحه أحد إلىٰ ذلك الوقت، فقد مرَّت القرون الخيرية علىٰ خير وسلام.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٥٦):

ووقع اسم المشار إليه عند مسلم: (قيل له: ألا تدخل علىٰ عثمان فتكلمه). قوله: (قد كلمته ما دون أن أفتح بابًا) أي: كلمته فيما أشرتم إليه، لكن علىٰ سبيل المصلحة والأدب في السر بغير أن يكون في كلامي ما يثير فتنة أو نحوها، وفي رواية: (إنكم لترون - أي: تظنون- أني لا أكلمه إلا أسمعكم) أي: إلا بحضوركم، وعند مسلم: (والله لقد كلمته فيما بيني وبينه). قال المهلَّب: أرادوا من أسامة أن يكلم عثمان، وكان من خاصته، وممن يخف عليه من شأن الوليد بن عقبة؛ لأنه كان ظهر عليه ريح نبيذ وشُهر أمره، وكان أخا عثمان لأمه وكان يستعمله، فقال أسامة: قد كلمته سرًّا دون أن أفتح بابًا، أي: باب الإنكار علىٰ الأئمة علانية؛ خشية أن تفترق الكلمة». اهـ

وقال الشوكاني في السيل الجرار (٤/ ٥٥٦):

«ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يُناصحه، ولا يظهر الشناعة عليه علىٰ رءوس الأشهاد، بل كما ورد في الحديث: أنه يأخذ بيده ويخلو

به، ويبذل له النصيحة ولا يُذل سلطان الله» اهـ.

وقال العلامة العثيمين كما في حقوق الراعي والرعية (ص:٥٧):

«فالله الله في فهم منهج السلف الصالح في التعامل مع السلطان، وألا يتخذ من أخطاء السلطان سبيلًا لإثارة الفتن وإلىٰ تنفير القلوب عن ولاة الأمور، فهذا عين المفسدة، وأحد الأسس التي تحصل بها الفتنة بين الناس.

فالواجب أن ننظر ماذا سلك السلف تجاه ذوي السلطان، وأن يضبط الإنسان نفسه، وأن يعرف العواقب، وليعلم أنَّ من يثور، إنما يخدم أعداء الإسلام، فليست العبرة بالثورة ولا بالانفعال، بل العبرة بالحكمة» اهـ.

لقد دُفعت الأمة دفعًا، وأُزّت أزًّا إلىٰ سبيل الفتن والويلات، وبحار الدماء والعذابات بأمثال محمد عبد المقصود وياسر برهامي، وأمثالهم في أمتنا وهم كثير جدًّا جدًّا حفظها الله وحماها من شر أبنائها، فشر عدوها معروف يحذر منه الناس، أما شرها النابع منها فهذا هو الخطر العظيم، والداء العضال.

أما أهل السنة والجماعة، فلا يكون منهم إلا الدعاء لولي أمرهم والصبر عليه مهما كان منه، حتىٰ لو كفر كفرًا بواحًا؛ وحال بشار وأهل سوريا خير شاهد لذلك. وعليه يظهر أن الدعاة إلىٰ الله علىٰ بصيرة، علىٰ مثل ما كان عليه النبي وأصحابه هم خير للأمة وأصلح وأنفع لها، ولمبتدعيها وخوارجها، وأنصح لهم من نصحهم لأنفسهم، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ومن استن بسنتهم، واهتدىٰ بهديهم، وتمسك بمنهجهم في كل شأنه وأمره وحاله صغيره قبل كبيره، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

* سابعًا: ويل للأتباع من عثرات الرجال:

روىٰ ابن عبد البر في جامعه (١٣٤٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

«ويل للأتباع من عثرات العالم. قيل: كيف ذلك؟ قال: يقول العالم شيئًا برأيه، ثم يجد من هو أعلم برسول الله ﷺ منه، فيترك قوله ذلك، ثم يمضي

الاتباع».

وهذا في حق العالم، فما بالك بأهل البدع والضلال، وحال أئمة يدعون إلىٰ النار؟!

وروىٰ أيضًا في جامعه (١٣٤٣) عن عليٍّ بن أبي طالب أنه قال:

«إياكم والاستنان بالرجال، فإنَّ الرجل يعمل بعمل أهل الجنةن ثم ينقلب لعلم الله فيه فيعمل بعمل أهل النار، فيموت وهو من أهل النار، وإنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل النار، فينقلب لعلم الله فيه فيعمل بعمل أهل الجنة، فيموت وهو من أهل الجنة، وإنْ كنتم لابد فاعلين فبالأموات لا بالأحياء».

وروىٰ أيضًا عن ابن مسعود أنه قال (١٣٤٤):

«ألا لا يقلدَّ احدكم دينه رجلًان إنْ آمن آمن، وإنْ كفر كفر؛ فإنه لا أسوة في الشر».

وعن ابن مسعود أيضًا (١٣٤١) أنه كان يقول:

«اغد عالمًا أو متعلمًا، ولا تغدون إمعة فيما بين ذلك، وكنَّا ندعو الإمَّعة في الجاهلية الذي يُدعىٰ إلىٰ الطعام فيذهب معه آخرن وهو فيكم اليوم المحقِّب دينه الرجال».

فلا تأخذوا دينكم من الرجال؛ فإنهم يرجعون، والفاسد منهم يتلوَّنون، وخذوا دينكم من الذي لا يتغيَّر ولا يتبدَّل، من مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه العدول.

* * *

الدِّعامةُ الثانية
المسلمون بين دعاة الفتنة، وبوذي بورما والغرب الكافر

* أولاً: البلاء قسيم الإيمان:

فإنه لا يخفىٰ علىٰ القاصي والداني من العوام، فضلًا عن طلبة العلم، فضلًا عن الدعاة العاملين في مجال الدعوة، ما حدث لإخواننا المسلمين في بورما - رحمهم الله تعالىٰ وتقبلهم عنده بإذنه سبحانه- من التقتيل والتحريق للأجساد والمنازل بما فيها من الأطفال والنساء والشيوخ والشباب، وما فعلوه بهم من المُثْلةِ والتشويه وكسر العظام والأعضاء وتهشيم الجماجم، وغير ذلك مما قام به عَبَدَةُ بوذا، البوذيُّون المشركون ورغبتهم الشديدة في استئصال جذور الإسلام هناك، والفتك بكل من قال: لا إله إلا الله، لتكون كلمة الكفر هي العليا، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]، ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

والذي حدث هذا ليس بجديد علىٰ أهل الكفر والإلحاد، وقد حدث قديمًا وحديثًا وسيظل حدوثه إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ للصراع الدائم بين الحق والباطل أبدًا.

فهذا إبراهيم الخليل عليه السلام كاد له قومه وأوقدوا له النيران ليحرقوه وهو نبي مرسل من أولي العزم.

قال تعالىٰ: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨ - ٧٠] وقال: ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ [الصافات: ٩٨].

وقصة أصحاب الأخدود من أشهر القصص القرآني في ذلك.

قال ابن كثير في تفسيره (٨/ ٤٥٠):

«وقوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ أي: لعن أصحاب الأخدود، وجمعه أخاديد، وهي الحَفيرُ من الأرض، وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلىٰ من عندهم من المؤمنين بالله ﷻ فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم، فأبوا عليهم، فحفروا لهم في الأرض أُخْدُودًا، وأجَّجوا فيه نارًا، وأعدوا لها وقودًا يسعرونها به، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج: ٤ - ٧] أي: مشاهدون لما يُفعل بأولئك المؤمنين ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ أي: وما كان لهم عندهم من ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يُضام من لاذ بجنابه، المنيع الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقَدَره، وإن كان قد قدَّر علىٰ عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار ، فهو العزيز الحميد، وإن خفي سبب ذلك علىٰ كثير من الناس.

ثم قال تعالىٰ: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: لا يغيب عنه شيء في جميع السموات والأرض ولا تخفىٰ عليه خافية.

(ثم ذكر الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه (٣٠٠٥) وهو حديث طويل عن صهيب عن النبي ﷺ يحكي فيه قصتهم وفيه قال ﷺ): «**فأمر بأفواه السكك فخُدّت فيها الأخاديد، وأُضرمت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه، وإلا فأقحموه فيها، قال: فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون، فجاءت امرأة بابن لها تُرضعه، فكأنها تقاعست أن تقع في النار، فقال الصبي: اصبري يا أمَّاه فإنك علىٰ الحق**» .

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي: حرَّقوا ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ أي: لم يُقلعوا عما فعلوا ويندموا علىٰ ما أسلفوا ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾

وذلك أنَّ الجزاء من جنس العمل.

قال الحسن البصري: انظروا إلىٰ هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلىٰ التوبة والمغفرة» اهـ. سبحان العزيز الرحيم.

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ﴾ [الأعراف: ٨٨].

وقال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ [إبراهيم: ١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٣ - ١٢٨].

وقال: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [يونس: ٨٤ - ٨٦].

وقال -جل وعلا-: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال سبحانه العليم الحكيم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ

ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ [النساء: ٤٤ - ٤٥].

وقال: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩].

فهذا حال الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان وآمن بهم إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ فإن البلاء لازم للمسلم.

قال تعالىٰ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢ - ٣].

وقال: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقال: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

وقال: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٩ - ١٤٣].

وقال: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

وقال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ [العنكبوت: ١٠ - ١١].

وقال الرسل لقومهم: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم: ١٢].

وروىٰ البخاري في صحيحه (٣٦١٢، ٣٨٥٢) عن خبَّاب بن الأرتِّ قال: شكونا إلىٰ رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقعد وهو مُحْمَرٌّ وجهه فقال: «**كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض فيُجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع علىٰ رأسه فيُشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمّن هذا الأمر** (وفي رواية: **وليتمنَّ الله هذا الأمر**) **حتىٰ يسير الراكب من صنعاء إلىٰ حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب علىٰ غنمه، ولكنكم تستعجلون**».

* ثانيًا: وهو القاهر فوق عباده:

قال ﷻ: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢ - ٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٧ - ١٨].

قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٥٩):

«يقول الله تعالىٰ مخبرًا أنه مالك الضر والنفع، وأنه المتصرف في خلقه بما يشاء لا معقب لحكمه، ولا رادَّ لقضائه، وفي الصحيحين[١] أن رسول الله ﷺ كان

---

(١) البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣).

يقول: «**اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجدّ**» ؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ أي: هو الذي خضعت له الرقاب، وذلَّت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كل شيء، ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت حكمه وقهره، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي: في جميع ما يفعله ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بمواضع الأشياء ومحالّها، فلا يعطي إلا لمن يستحق ولا يمنع إلا من يستحق» اهـ.

قال ابن فارس في مقاييس اللغة (٥/ ٣٥):

«قهر: القاف والهاء والراء كلمة صحيحة تدل علىٰ غلبة وعلو، يقال: قهره يقهره قهرًا، والقاهر: الغالب، وأُقهر الرجل إذا صُيّر في حال يُذل فيها» اهـ.

وقال محمد بن أبي بكر الرازي في مختار الصحَّاح (ص٤٧٧):

«غلب من باب ضرب غلبةً وغلَبًا وغالبه مُغالبةً وغِلابًا بالكسر، وتغلَّب علىٰ البلد استولىٰ عليها قهرًا، والغلَّاب بالتشديد: الكثير الغلبة» اهـ.

وقال ابن منظور في لسان العرب (٥/ ٩٥):

«القهر: الغلبة والأخذ من فوق، والقهار: من صفات الله ﷻ. قال الأزهري: والله القاهر القهار، قهر خلقه بسلطانه وقدرته، وصرفهم علىٰ ما أراد طوعًا وكرهًا، والقهار للمبالغة.

وقال ابن الأثير: القاهر هو الغالب جميع الخلق، وقهره يقهره قهرًا: غلبه، وتقول: أخذتهم قهرًا: أي: من غير رضاهم» اهـ.

وقال ابن فارس أيضًا في مقاييس اللغة (٤/ ٣٨٨):

«غلب: العين واللام والباء أصل صحيح يدل علىٰ قوة وقهر وشدة. من ذلك: غلب الرجل غَلْبًا وغَلَبًا وغَلَبة، قال تعالىٰ: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ٣].

قال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٤٠):

«﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ [يوسف: ٢١] أي: إذا أراد شيئًا فلا يُردّ ولا يُمانع، ولا يُخالف، بل هو الغالب لما سواه.

قال سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ أي: فعال لما يشاء. وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ يقول: لا يدرون حكمته في خلقه، وتلطفه لما يريد» اهـ.

وقال تعالىٰ: ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

قال القرطبي في جامعه (١٩/ ٢٠٩): «أي: لا يمتنع عليه شيء يريده» اهـ.

قال ابن كثير في تفسيره (٨/ ٢٣٤):

«﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ أي: مهما أراد فعله، لا معقب لحكمه، ولا يُسأل عما يفعل؛ لعظمته وقهره وحكمته وعدله» اهـ.

وقال القرطبي في شرح هذا الاسم كما في الأسنىٰ (١/ ١٩٥):

«وهذا الاسم يقرب من العزيز الجبار، ويدل صريحًا علىٰ حمل مخلوقاته علىٰ مراده طوعًا وكرهًا فيما يريد وقوعه، هذه خاصة اسم القهار.

والقهر غلبة الذوات وصرف صفاتها إلىٰ حكم القهار ومشيئته فيها، كما أنَّ خاصة اسم القدير: تقدير المقدرات.

فالبارئ تعالىٰ قهار لأهل السموات والأرض: أما لأهل السموات فبالتسخير، وأما لأهل الأرض فبالتعبد والتذليل الذي يقصم ظهور الجبابرة، ويذل رقاب الأكاسرة، ويقطع الآمال بالحافرة، ويتمنىٰ المرء أن يولد له فلا يولد له، وألَّا يشيب فيشيب، ويريد أن يُعز فيذل، وأن يستغني فيفتقر، بقهرٍ من الله وغلبة تصده عن مراده، وتصرفه عن آماله، وذلك من آيات كمال القاهر والغالب، ونقص المقهور المغلوب، وفعل ذلك فكان قاهرًا، وكرر فكان قهَّارًا بكثرته،

ويتضمن هذا الاسم صفة العزة التي هي الغلبة، وجميع الصفات التي لا يتم الفعل إلا بها، ويتضمن مع ذلك اختيارًا في نفي ما لا يريد وقوعه ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]» اهـ.

فربنا -جل وعلا- هو القاهر القهار، يقهر ولا يُقهر، ويَغلب ولا يُغلب، ويأمر ولا يؤمر، ويقضي ولا يُقضىٰ عليه، ويعز ويذل، ولا يُذل، ولا يُعزّ إلا من أعزه الله، قال تعالىٰ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] فله سبحانه القاهرية المطلقة والتصرف الكامل في جميع خلقه، ﷻ يقول للشيء كن فيكون ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٢ - ٨٣]. وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [إبراهيم: ٤٨ - ٥٢].

* ثالثًا: بورما وقاهرية القهَّار:

قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

وقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَـٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَـٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَـٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: ٨ - ٩].

وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦١ - ٦٢].

إنه في يوم السبت (٢٥/ ٨/ ٢٠١٢) طالعتنا الصحف والمجلات وعلىٰ الشبكة العنكبوتية، الأخبار بالصوت والصورة لما حدث للمشركين البوذيين في

بورما حيث أعلنت السلطات هناك عن أسوأ فيضان أتىٰ علىٰ البلاد منذ أعوام أدَّىٰ إلىٰ إغراق مئات الآلاف من الهكتارات من حقول الأرز وفرار وتشريد أكثر من خمس وثمانين ألف شخص من منازلهم، حيث قال مسئول الطوارئ الحكومي (سوتان) اليوم السبت، أنَّ أمطارًا غزيرة سقطت علىٰ مدار الأسابيع الماضية تسببت في إغراق منطقة الدلتا الجنوبية بالبلاد، وأن هؤلاء الفارِّين من منازلهم بمنطقة الدلتا يقيمون بمائتين وتسعة عشر مركز إغاثة، أقيمت بالمدارس والأديرة وأن خمسة عشر ألفًا آخرين شُرِّدوا في مناطق أخرىٰ من البلاد. ويذكر هذا المسئول: أن منطقة الدلتا دُمِّرت عام (٢٠٠٨م) بسبب إعصارٍ أدىٰ إلىٰ قتل مائة وثلاثين ألف شخص.

هذا ما أعلنته حكومة ميانمار، والأخبار بالصور علىٰ شبكة النت، ستمائة ألف فدان من الأرز قد فسد، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٠]، وقال: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، وقال -جل وعلا-: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

والذي كان من هؤلاء المشركين كان من شهرين ونصف تقريبًا، فانظر إلىٰ قاهرية الواحد القهار سريع الحساب شديد العقاب.

﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ [الحج: ٣٩-٤٠] فكما حرَّقوهم وأخرجوا بقيتهم من ديارهم أخرجهم القاهر القهار عُنوة من ديارهم.

وربنا -جل وعلا- يمحص المؤمنين ويتخذ منهم شهداء ويعلم الصابرين.

روىٰ مسلم في صحيحه تحت باب: المؤمن أمره كله خير، عن صهيب قال:

قال رسول الله ﷺ (٢٩٩٩):

«عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» .

وإنما الشر في دعاة الفتنة ومحدثات الأمور والتهييج.

* رابعًا: دعاة الفتنة والإفساد في الأرض باسم الدين:

فإنه لما كان ما كان من مأساة إخواننا في بورما -أجزل الله لهم المثوبة والجزاء- خرج دعاة الفتنة -ومن قبل كانوا يعملون السيئات- علىٰ الناس يصيحون ويخطبون بالكلمات الرَّنَّانة المؤثرة -كعادتهم- ويندون ويشجبون، وينكرون ما حدث هناك، وهم باكون علىٰ هذه المجزرة البوذية الخبيثة، وحق علىٰ كل داعية بل كل مسلم أن يصيبه الحزن والأسىٰ والحسرة علىٰ هوان وذل الأمة، فيدمي قلبه قبل عينه، علىٰ هذه المذلة المتجددة في كل وقت وهذا الهوان الملازم للأمة، قديمًا وحديثًا، وفي العصر الحديث من قبل في كوسوفا والبوسنة والهرسك والشيشان والهند وكشمير والفلبين وفلسطين والعراق والصومال وغير ذلك، حيث تداعت علينا الأمم كما تداعت الأكلة إلىٰ قصعتها.

لكن العجيب الذي هو من أسباب كتابة هذه الرسالة؛ تصحيحًا لمعتقد المسلمين، أن هؤلاء دعاة الفتنة والتهييج قد نظروا إلىٰ مئات القتلىٰ الذين لم يصل عددهم أقصىٰ تقدير إلىٰ الألف، نسأل اللهَ البَرَّ الودود أن يتقبلهم عنده شهداء، قد أخذوا حظهم من النار والعذاب في الدنيا، اللهم آمين، وقد قال تعالىٰ علىٰ المشركين: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨]، ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠].

أي: أن هذا ليس بمستغرب منهم؛ إذ هذا هو الأصل الذي أقاموا عليه دينهم ودنياهم، ألم يقطع جسد عمِّ رسول الله ﷺ، حمزة رضي الله عنه، وبُقر بطنه، وأكلت كبده؟!

في حين يجد المؤمن قلبه صار قطعة من الأسىٰ والبثّ، وهو أشد الحز والغمّ والهم، كما قال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦] يجد ذلك حين ينظر إلىٰ مئات الآلاف من الأمة قد قتلوا وذبحوا هنالك في ليبيا، وسوريا، واليمن، ومصر، وما يزالون يقتلون في سوريا، وانطلاق المارد الشيعي يفسد في الأرض بشرب دماء المسلمين أهل السنة، وكل هؤلاء قد ذبحوا بما هو أشد من السيف والقنابل، قتلوا بألسنة هؤلاء المهيجين دعاة الفتنة الذين طمس الله علىٰ قلوبهم فهم لا يسمعون ولا يفهمون، قادوا الأمة إلىٰ السقوط الأوهد، والحضيض الدَّامي، والخسران المبين، حيث هيَّجوا الأمة فأخرجوهم علىٰ حكامهم، وكانت الانقلابات الكبرىٰ الدولية، فهلكت العباد والبلاد، وسقطت الدول ونهب حلف الناتو خيراتها.

فنَظروا إلىٰ العدد اليسير من القتلىٰ في بورما، وتعاموا عن الدمار الذي تسببوا فيه، كالحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه (٥٧٦١/ إحسان) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**يُبصر أحدكم القذاة في عين أخيه وينسىٰ الجِذْع في عينه**» .

قال ابن الأثير في النهاية (٤/ ٢٧):

«ضربه مثلًا لمن يرىٰ الصغير من عيوب الناس ويُعيِّرهم به، وفيه من العيوب ما نسبته إليه كنسبة الجِذْع إلىٰ القذاة» اهـ.

وأقل ما يقال في هؤلاء: تحملهم إثم من مات في هذه الثورات المشئومة، ودِيَتهم لأوليائهم.

فكان حالهم أعظم خطرًا من البوذيين واليهود والنصارىٰ؛ لأنهم أفسدوا في الأرض باسم الدين، وصبغوا بحار الدماء، والخسران بصبغة الله ورسوله ﷺ، بتحليلهم ما حرَّم الله ورسوله من الخروج والمظاهرات والاعتصامات والإضرابات، والمسيرات والاختلاطات وغير ذلك من التحزب والتفرق

والانتخابات، وسيل المخالفات الجرَّار، والنتائج الوخيمة التي تلمس العوام آثارها من فقد الثقة في الإسلاميين، وسقوطهم في أعينهم، واتهام المنهج الإسلامي برمته بعدم صلاحه لحكم العباد والبلاد، فكان لابد من البيان، والله المستعان وعليه التكلان.

وكان من أواخر ما فعله دعاة الفتنة والضلالة من يومين في هذا الأسبوع (٩/ شوال/ ١٤٣٣هـ) الموافق (٢٧/ ٨/ ٢٠١٢) أن عرضت قناة النقمة برنامجًا استضافت فيه من سمَّوا أنفسهم زعمًا وكذبًا بـ«السلفية الجهادية»، والسلفية والسلفيون منهم برآء[1]، في حوار مُحْدَث مبتدع سمحوا لهم فيه بعرض فكرهم المخرِّب الفاسد البدعي بدليله الباطل، وحجته الداحضة أمام العوام، وهم يرمون بسهام الشبه القاتلة في قلوب ملايين من المسلمين؛ فإنهم مما قدَّمت أيديهم قد كثُر محبيهم ومتبعيهم علىٰ الضلال والبدع،، ومع ذلك ما أحسن واحد من أصحاب القناة دحض الشبه وردّها؛ حتىٰ لا يعم الفساد، بل ما كان من ذلك إلا تأصيل وتقريب فكر هذه الفرقة النارية الضالة إلىٰ عوام المسلمين.

وإني أتساءل: لمصلحة من هذا العبث الذي حدث؟! وأي دعوة دعوتكم؟! إن الذي شاهد هذه الحلقة يتذكر لزامًا منهج الفساد الدعوي الذي يقوم به العلمانيون والليبراليون وغيرهم في قنواتهم وبرامجهم من استضافة المشككين في عرىٰ الإسلام ليتحاوروا مع رجال الدين، فإذا بهم قد أتوا برجال لا يحسنون التكلم في دين الله، فضلًا عن أن يردوا الشبه ويدحضوها، فما يكون إلا تأصيل الشبه في قلوب المسلمين وهو المقصود الأعلىٰ عند هؤلاء العلمانيين، فيعرضوا الشبه نقدًا ويُردُّ عليها نسيئة، كما كان يفعل الفخر الرازي المتكلم المعتزلي، فيما نقله عنه الإمام الذهبي في الميزان، وابن حجر في اللسان.

---

(١) انظر: السلفية والسلفيون علىٰ ميزان الشريعة، لراقمه.

وإن أحسنَّا بهم الظن، فقد أفسدوا من حيث أرادوا الإصلاح، فهل هناك صلاح ولا فلاح إلا في مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ؟!

ذكر الإمام البغوي في شرح السنة (١/ ١٩٤) عن الإمام سفيان الثوري أنه قال:

«من سمع بدعة فلا يحكها لجلسائه؛ لا يلقيها في قلوبهم».

وروىٰ الإمام أبو بكر الآجري في الشريعة باب ذكر هجر أهل الأهواء والبدع (٢٠٩٨) عن أبي قِلابة أنه كان يقول:

«لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم، فإنِّي لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة أو يُلبِّسوا عليكم بعض ما لُبِّس عليهم».

وروىٰ الإمام ابن بطة في الإبانة الكبرىٰ عن ابن عباس (٣٧٦) قال:

«لا تجالسوا أهل الأهواء؛ فإنَّ مجالستهم ممرضة للقلوب».

وروىٰ أيضًا عن إبراهيم النخعي (٣٧٩) قال:

«لا تجالسوا أصحاب الأهواء؛ فإني أخاف أن ترتدَّ قلوبكم».

وعن حماد بن زيد قال (٣٩١):

«ولا يُمكن سمعه من ذي هوىٰ».

وروىٰ عن ابن عون عن محمد بن سيرين (٤٣٧):

«أن رجلًا أتاه فسأله عن القدر فقال محمد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾ [النحل: ٩٠]. فأعاد عليه الكلام، فوضع محمد يديه في أذنيه، قال: ليخرجن عنِّي، أو لأخرجنَّ عنه، قال: فخرج الرجل، فقال محمد: إن قلبي ليس بيدي، وإنِّي لا آمن من أن يبعث في قلبي شيئًا لا أقدر أن أخرجه منه، وكان أحب إليَّ ألا أسمع كلامه».

وروىٰ مثله عن أيوب السختياني (٤٠٧).

وروىٰ عن سفيان الثوري أنه قال (٤٥٢):

«ما من ضلالة إلا ولها زينة، فلا تعرض دينك إلىٰ من يُبغّضه إليك».

وروىٰ عن حنبل بن إسحاق قال (٤٨٦):

«كتب رجل إلىٰ أبي عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ (يعني أحمد بن حنبل) كتابًا يستأذنه فيه أن يضع كتابًا يشرح فيه الردَّ علىٰ أهل البدع، وأن يحضر مع أهل الكلام فيناظرهم ويحتج عليهم، فكتب إليه أبو عبد الله: (بسم الله الرحمن الرحيم، أحسن الله عاقبتك، ودفع عنك كل مكروه ومحذور، الذي كنا نسمع وأدركنا عليه الناس من أهل العلم: أنهم كانوا يكرهون الكلام والجلوس إلىٰ أهل الزيغ، وإنما الأمور في التسليم والانتهاء إلىٰ ما كان في كتاب الله، أو سنة رسول الله، لا في الجلوس مع أهل البدع والزيغ لتردّ عليهم، فإنهم يلبِّسون عليك، وهم لا يرجعون، فالسلامة إن شاء الله في ترك مجالستهم والخوض معهم في بدعتهم وضلالتهم، فليتق الله امرؤ، وليصبر إلىٰ ما يعود عليه نفعه غدًا من عمل صالح يقدمه لنفسه علىٰ المحال فيه، وطلب الحجة لما خرج منه بحق أو بباطل ليزين به بدعته، وما أحدث، وأشد من ذلك أن يكون قد وضعه في كتاب قد حُمل عنه، فهو يريد أن يُزيِّن ذلك بالحق والباطل، وإن وضح له الحق في غيره، ونسأل الله التوفيق لنا ولك والسلام عليك».

والآثار في ذلك كثيرة مستفيضة جدًّا، فاقرأ إن شئت الإبانة الكبرىٰ لابن بطة، والشريعة للآجري، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، وعقيدة السلف للصابوني وغيرهم من أئمة السلف، ولكن القوم لا يقرأون هذه الكتب، بل هم في مَبْعَدٍ عنها، ولقد فصَّلت القول في ذلك في كتابي التحذير والتبيين، قد ذكرت طرفًا منه يغني عن الإعادة بإذن الله تعالىٰ، الموفق والهادي إلىٰ سواء السبيل.

*** خامسًا: حمية الخوارج الممقوتة الجاهلة، والفيلم المسيء للرسول ﷺ:**

يتحدَّث العالم الإسلامي في هذه الأيام عن هذا الفيلم المجرم الذي يطعن في رسول الله ﷺ ويسبُّه ويسخر ويستهزئ به، أخرجه رجل أمريكي ملحد لا يؤمن بدين؛ لأنه قد سبق له أنْ أخرج فيلمًا عن المسيح عليه السلام يسخر منه ويستهزئ به، وفليمًا آخر عن مريم البتول كذلك يسخر منها، وإن كان ظاهر ديانته النصرانية، وقيل: مَنْ مَوَّل هذا الفيلم بعض أقباط المهجر المصريينن وقيل: بل بعض اليهود.

هذا الفيلم معروض علىٰ شبكة النتِّ من شهور، لا يعلمه كل الناس، حتىٰ خرج مذيع الخوارج: خالد عبد الله من قناة الناس ليقرِّبَهُ إلىٰ المسلمين ويشعل نيران الفتنة بإحياء ما ينبغي طمسه وعدم ذكره؛ حيث يؤدي ذكره إلىٰ تداوله بين الناس ونشره وإذاعته، فقد كان عدد المطلعين علىٰ الأمر أقل من مائتين، فصار بعد فعلته ونشره يدخل ملايين يوميًّا ليطلعوا علىٰ الفيلم!!!، وقد قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور: ١٩]؛ ولقوله تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢].

فلما لامه البعض ردَّ ردًّا يبيِّن حال الرجل، حيث قال: هذا سبق صحفي، لو لم أتكلم أنا أذاعه غيره!!!

فهاج المسلمون وماجوا، وخرج المهيَّجون بحميتهم الجاهلية ليفسدوا في الأرض زعمًا منهم أنهم ينصرون الله ورسوله ﷺ!!!

فخرجوا كعادتهم في مظاهراتهم وبدعهم؛ لينصروا الله بما حرَّم الله، وإنَّ ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته، فكيف يُنصر بما حرَّم؟!

فخرج رئيس قناة الأمة ليهلك الأمة، فعمد إلىٰ ميدان عام فأحرق الإنجيل، وتوعَّد في المرة القادمة أن يتبول علىٰ الإنجيل، وهذا قمَّة السخرية من الإنجيل. والإنجيل كتاب مُحَرَّف، وأصله من عند الله، ففيه الحق وفيه الباطل؛ لذلك قال ﷺ: «**لا تصدقوهم ولا تكذبوهم**»؛ لاشتمال كلامهم علىٰ الهدىٰ والضلال، ولكن لا يُعلم هذا من ذاك، فصار الذي يسخر من جملة الإنجيل قد سخر واستهزأ ببعض كلام الله، فأتىٰ بناقض من نواقض الإسلام وهو لا يشعر، بل هو علىٰ يقين بأنه ينصر الله ورسوله!!! وهذا فيه ما فيه من المفاسد، من إثارة الغرب الكافر علىٰ المسلمين المستضعفين وما يتبع ذلك من مفاسد عظام.

وعلىٰ صعيد آخر هنالك في ليبيا، خرج إخوان الخوارج الليبيين ليقتلوا سفير أمريكان فتحرَّكت علىٰ إثر هذا القتل قوات مشاة البحرية إلىٰ السواحل الليبية، ولننظر كم سيُقتل بهذا الرجل، وببركة الخوارج الجهلة، مما أدَّىٰ إلىٰ تقديم الاعتذارات الدولية الرسمية من ليبيا وغيرها، فجمع الخوارج للأمة بين سبِّ النبي ﷺ وبين الاعتذار لهم، ومكَّن الخوارج للكافرين السبل علىٰ المسلمين. ولو التزم الخوارج بقوله: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢] لما جَرُّوا الأمة إلىٰ هذا الهوان، ولمات افتراؤهم بعدم إحيائه بالذكر والتحديث به. فإن كان تمويل الفيلم يهوديًّا، فالأمر برمَّته فتنة أوقدوها ليجرُّوا بها دعاة الفتنة والتهييج إلىٰ ما لا يُحمد عقباه، كما جرُّوهم من قبل في دروب الثورات الماسونية المدمِّرة، وإن كان الأقباط المصريون في المهجر؛ فهو ثمرة للتنازل عن الثوابت والأصول من أجل المصلحة العامة والوطن، حيث جعل الحزبيون والخوارج النصارىٰ إخواننا وقالوا لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وجعلوا كبيرهم الهالك في الجنة ودعوا له بالمغفرة والرحمة، ونقضوا عقيدة الولاء والبراء، فكافئوهم بهذا الفيلم ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ [الحشر: ٢]؛ فمع الخوارج لا تنتهي الفواجع!!!

* كيف يَسُبُّ المتظاهرون المسلمون رسولَ الله ﷺ؟!

والذي يؤكد ما قلته: ما حدث بعد هذا الفيلم من بعض الفرنسيين في رسمهم رسول الله ﷺ في رسوم مسيئة؛ زيادة من الغرب الكافر في غيظ واستفزاز المسلمين السفهاء المهيَّجين والمُهيِّجين؛ ليقعوا في الأخطاء، فتزداد قبضتهم علىٰ الأمة بالمبررات القوية التي يقدمها سفهاء الأمة بردود فعلهم الجاهلة من القتل والحرق للأناجيل وغير ذلك، واعلم أنه ما دام ذلك كذلك، فلن تنتهي سلسلة الاستفزازات الدولية الكافرة علىٰ المسلمين.

أقول: ألم يؤمر ﷺ في الفترة المكية بالصبر والإعراض عن المشركين المستهزئين من الله ورسوله والمؤمنين وهو يرىٰ من يُقتل منهم، ويُعذب، ويحدث لأصحابه المصائب العظام من الحرق والتنكيل؟! لماذا؟ لأنهم مستضعفون، وهل هناك استضعاف كحال الأمة اليوم؟! ألا هلك السفهاء والجاهلون؛ قال تعالىٰ ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

قال القرطبي في تفسيره (٧/ ٤٥):

«قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ نهي ﴿فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ﴾ جواب النهي، فنهىٰ سبحانه المؤمنين أن يسبوا أوثانهم؛ لأنه علم إذا سبُّوها نفرَ الكفار وازدادوا كفرًا.

قال ابن عباس: قالت كفار قريش لأبي طالب: إمَّا أنْ تنهىٰ محمدًا عن سبِّ آلهتنا والغض منها، وإمَّا أن نسب إلهه ونهجوه؛ فنزلت الآية[1].

قال العلماء: حكمها باقٍ في هذه الأمة علىٰ كل حال؛ فمتىٰ كان الكافر في مَنَعَة وخيف أن يَسُبَّ الإسلام أو النبي أو الله ﷻ، فلا يحل لمسلم أن يَسُبَّ صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم، ولا يتعرض إلىٰ ما يؤدي إلىٰ ذلك؛ لأنه بمنزلة

---

(١) أخرجه الطبري في جامعه (٧/ ٣٢٤) (الأثر: ١٣٦٥٤) بسند مرسل، ولكنَّ معناه صحيح قطعًا.

البعث علىٰ المعصية، وفي هذه الآية أيضًا ضرب من الموادعة، ودليل علىٰ وجوب الحكم بسد الذرائع» اهـ.

قلت: وهل هناك منعة لأهل الكفر ومذلة للمسلمين مثل اليوم؟!

وكأنَّ القوم لم يقرءوا كتاب الله ولا خبروه ولا علموه، ولكنَّه كما قال ﷺ: «**يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم**».

والله الذي لا معبود بحق سواه، فقد وجب علىٰ ولي الأمر تعزيرهم؛ حتىٰ لا يَجرُّوا الأمة إلىٰ الهلكات والويلات، ولكن ....

وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٠٦):

«يقول الله تعالىٰ ناهيًا لرسوله ﷺ وللمؤمنين عن سبِّ آلهة المشركين، وإنْ كان فيه مصلحة؛ إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسبِّ إله المؤمنين، وهو الله لا إله إلا هو ... ومن هذا القبيل -وهو ترك المصلحة لمفسدة أرجح منها- ما جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ: «**ملعون من سب والديه**» قالوا: يا رسول الله، وكيف يسب الرجل والديه؟ قال: «**يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**»[1] »اهـ

قلت: وبقياس الأَوْلىٰ علىٰ هذا الحديث يقال بنص رسول الله ﷺ: «ملعون من سب الله ورسوله» فإن قيل: كيف ذلك؟ أقول: يسب الكافرين ويُحرِّق أناجيلهم فيسبُّون الله ورسوله، وكأن هؤلاء السفهاء هم الذين سبوا رسول الله ﷺ، ومن ثم: فكلُّ سبٍّ أو استهزاء أو سخرية حدثت أو ستحدث في هذه الأيام، فهو من الخوارج السفهاء الجهلة، والله المستعان وعليه التكلان هذا من وجه الاستنباط والقياس.

وهناك الوجه الأسود، وهو سبُّ المسلمين لدين الله!!! وهو كفر بواح يُسْمَعُ في أنحاء بلاد المسلمين، ودين المسلمين بلَّغه رسول الله ﷺ، فكان سبُّ الدين

---

(١) رواه مسلم (٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

سبٌّ للرسول، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[١].

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨].

وقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

فالله -جل وعلا- حافظ رسوله وعاصمه، فاعصموا أنفسكم من مخالفة الله ورسوله.

*** تعقيب:**

وعلىٰ ضوء ما تقدم أقول: إن الطعن في رسول الله ﷺ له وجهان:

الوجه الأول: وهو المباشر، كما فعل هذا الملحد الكافر في فيلمه المجرم بالسب والسخرية والكفر البواح، وهذا حال أهل الكفر من قبل ومن بعد ولا جديد.

والوجه الثاني: وهو غير المباشر، وهو الأخطر والأعظم والأكثر فسادًا في الأرض، ألا وهو طعن بني حرقوص في سنة رسول الله ﷺ، بتقديم آراء كبرائهم عليها، وتحريفهم للكلم عن مواضعه، وتفسيرهم للسنن بما لم يفسره السلف الكرام، ونقضهم لعرىٰ التوحيد من الولاء والبراء وعدم تحقيقهم لكلمة الإخلاص، وترك شروطها وأركانها ولوازمها ومقتضياتها، وقولهم العظيم: نتنازل عن الثوابت والأصول من أجل المصلحة العامة والوطن. ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةً تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ [الكهف: ٥] وهذا هو عين الإفساد في الأرض باسم لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن العجيب، أنه قبيل طبع هذا الكتاب بساعات، أخبرني طالب علم معي

---

(١) ولقد استمعت إلىٰ خطبتين مباركتين -بإذن الله- لفضيلة الدكتور طلعت زهران -حفظه الله تعالىٰ- (بطولات زائفة، شيطان قريش إذا أسلم) استنبطت منهما بعض هذه الفقرة.

في المسجد أن رجلًا ليبيًّا قال له: إن هناك طائرات تطير علىٰ بنغازي تضرب كل رجل مُلْتَحٍ، وأنه يُدخل علىٰ الملتحين في المساجد فيُقتلون، وإلىٰ الله المشتكىٰ.

* * *

الدِّعامةُ الثالثة
كيف تُرحم الأمةُ

إن المتأمل في كتاب الله ﷻ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الهادي إلىٰ سواء السبيل، البشير النذير، يجد أنَّ للرحمة أسبابًا إذا أخذ بها الناسُ رُحِمُوا ونُصروا، ونصروا الله ورسوله، حقًّا وصدقًا، منها:

١- حسن الاستماع والإنصات إلى القرآن أول وأهم أسباب الرحمة:

قال رب العزة -جل وعلا-:

﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣ - ٢٠٤].

قال الإمام ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٥١):

«لما ذكر تعالىٰ أنَّ القرآن بصائر للناس وهدىٰ ورحمة، أمر تعالىٰ بالإنصات عند تلاوته إعظامًا له واحترامًا، لا كما كان يعتمده كفار قريش المشركون في قولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦] ولكن يتأكد ذلك في الصلاة المكتوبة إذا جهر الإمام بالقراءة» اهـ.

وقال القرطبي في جامعه (٧/ ٢٥٢):

«﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ يعني القرآن، جمع بصيرة، وهي الدلالة والعبرة.

أي: الذي دللتكم به علىٰ أن الله ﷻ واحدٌ.

وبصائر: أي: يُستبصر بها، والبصائر طرق الدين.

﴿وَهُدًى﴾ رشد وبيان ﴿وَرَحۡمَةٌ﴾ أي: ونعمة.

قال النقاش: أجمع أهل التفسير أن هذا الاستماع في الصلاة المكتوبة وغير المكتوبة. والإنصات: السكوت والاستماع والإصغاء والمراعاة.

وقال بعضهم في قوله: ﴿فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ كان هذا لرسول الله ﷺ خاصًّا؛ لِيَعيَه عنه أصحابه.

قلت: هذا فيه بعد، والصحيح القول بالعموم؛ لقوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ والتخصيص يحتاج إلىٰ دليل، فإن المشركين كانوا يكثرون اللغط والشغب تَعَنُّتًا وعنادًا، علىٰ ما حكاه الله عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] فأمر الله المسلمين حالة أداء الوحي أن يكونوا علىٰ خلاف هذه الحالة وأن يستمعوا، ومدح الجنَّ علىٰ ذلك فقال: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] الآية» اهـ.

وزاد العلامة السِّعْدي رَحِمَهُ اللَّهُ بيان المعنىٰ، فقال في تفسيره (ص٣١٤):

«هذا الأمر عام في كل من سمع كتاب الله يتلىٰ، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات.

والفرق بين الاستماع والإنصات: أنَّ الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه.

وأما الاستماع له، فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع، فإنَّ مَنْ لازم علىٰ هذين الأمرين حين يتلىٰ كتاب الله، فإنه ينال خيرًا كثيرًا، وعلمًا

غزيرًا، وإيمانًا مستمرًّا متجددًا، وهدىً متزايدًا، وبصيرة في دينه؛ ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما، فدل ذلك علىٰ أنَّ من تُلي عليه الكتاب فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير.

ومن أوكد ما يؤمر به مستمع القرآن، أن يستمع له وينصت في الصلاة الجهرية إذا قرأ إمامه؛ فإنه مأمور بالإنصات» اهـ.

قلت: إنَّ شأن الصلاة عظيم، بها تُرحم الأمة.

(٢) لزوم طاعة الله ورسوله وهي حسن القنوت:

وقال تعالىٰ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩].

قال القرطبي في جامعه (١٥/ ١٧٥-١٧٦):

«وفي قانت أربعة أوجه:

أحدها: أنه المطيع. قاله ابن مسعود.

الثاني: أنه الخاشع في صلاته. قاله ابن شهاب.

الثالث: أنه القائم في صلاته. قاله يحيىٰ بن سلَّام.

الرابع: أنه الداعي لربه. وقول ابن مسعود يجمع ذلك.

قال النحاس: أصل هذا أنَّ القنوت الطاعة، فكل ما قيل فيه فهو طاعة لله ﷻ، فهذه الأشياء كلها داخلة في الطاعة وما هو أكثر منها، كما قال نافع: قال لي ابن عمر: قم فصل، فقمت أصلي، وكان علي ثوب خَلِق، فدعاني فقال لي: أرأيت لو وجَّهتك في حاجة أكنتَ تمضي هكذا؟ فقلت: كنت أتزيَّن، قال: فالله أحق أن تتزين له.

وعن ابن عباس: ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ جوف الليل، قال ابن عباس: من أحب أن يهوِّن الله عليه الوقوف يوم القيامة، فليره الله في ظلمة الليل ساجدًا أو قائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه.

﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ﴾ قال سعيد بن جبير: أي: عذاب الآخرة ﴿وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ أي: نعيم الجنة.

وروي عن الحسن أنه سئل عن رجل يتمادىٰ في المعاصي ويرجو فقال: هذا متمنٍّ[1].

قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: كما لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، كذلك لا يستوي المطيع والعاصي.

وقال غيره: الذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به، فأما من لم ينتفع بعلمه ويعمل به فهو بمنزلة من لم يعلم، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: أصحاب العقول من المؤمنين» اهـ.

(٣) تقوى الله وكثرة الاستغفار:

وآيات الله في كتابه العزيز يؤكد بعضها بعضًا، ويُفَصِّل بعضها بعضًا، فقال تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦] وقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦].

قال تعالىٰ: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

وقال: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣ - ١٢٤].

فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [هود: ٣ - ٤].

وقال: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح: ١٠ - ١٣].

وقال -جل وعلا-: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣].

وقال: ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٦].

وقال ﷻ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [يس: ٤٥]

وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦ - ١٠٠].

وقال: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وعلىٰ ضوء ما تقدم يفهم قوله تعالىٰ:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩] وقوله: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٧ - ٥٨].

وأوَّل اسم في القرآن إنما هو الرحمن.

قال تعالىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ودعت الملائكة ربها للمؤمنين فقالت: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

فرحمته التي وسعت كل شيء لها أسباب ليُرحم الشيء بها، فقال تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦ - ١٥٨].

يقول ابن منظور في لسان العرب (١٢/ ٢١٥):

«الرحمن - الرحيم: بُنيت الصفة الأولىٰ علىٰ فعلان؛ لأن معناه الكثرة، وذلك لأن رحمته وسعت كل شيء وهو أرحم الراحمين، فأما الرحيم، فإنما ذُكر بعد الرحمن؛ لأن الرحمن مقصور علىٰ الله ﷻ، والرحيم قد يكون لغيره.

والرحمن اسم من أسماء الله تعالىٰ ﷻ، ومعناه عند أهل اللغة: ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة؛ لأن فعلان من أبنية المبالغة، ورحيم فعيل بمعنىٰ فاعل.

وقال ابن عباس: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، فالرحمن الرقيق، والرحيم العاطف علىٰ خلقه بالرزق» اهـ.

وقال ابن فارس في مقاييس اللغة (٢/ ٤٩٨):

«(رحم): الراء والحاء والميم أصل واحد يدل علىٰ الرِّقة والعطف والرأفة

يقال من ذلك رحمه يرحمه، إذا رقَّ له وتعطف عليه، والرُّحُمُ والمرْحمة والرَّحمة بمعنىٰ.

والرَّحِم: علاقة القرابة، ثم سمِّيت رَحِم الأنثىٰ رحمًا من هذا؛ لأن منها ما يكون ما يُرْحم ويُرق له من ولد.

قال الأصمعي: كان أبو عمرو بن العلاء ينشد بيت زهير:

ومن ضريبته التقوىٰ ويعصمه ... من سيِّئ العثرات الله والرُّحُمُ

وكان أبو عمرو ذهب إلىٰ أن الرُّحُم: الرحمة» اهـ.

فربنا الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، وسبقت رحمته غضبه، رحيم بعباده المؤمنين، شديد العقاب والعذاب الأليم بعباده الفاسقين.

(٤) خشية الرحمن:

قال تعالىٰ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠].

فإذا أخذت الأمة دولها، مجتمعاتها، قُراها، رجالها، نساؤها، حكامها، محكوموها -أخذوا بأسباب الرحمة، رُحِمُوا، وإلَّا عذبهم الرحمن !!!

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم: ٧٥ - ٧٦].

وقال إبراهيم لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٥].

وأكد -جل وعلا- ذلك المعنىٰ، فقال:

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ

كَرِيمٍ ﴾ [يس: ١١].

وقال: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ١٨ - ٢٤].

أخي في الله.. هل عرفت الطريق؟ فإذا عرفت فالزم، ساكنًا علىٰ لزومك إلىٰ الممات، قال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٢].

واستمع وأنصت وتدبر هذه الآيات البيِّنات وانْسَ أنك تحفظها؛ فلربما أدَّىٰ بك حفظك وتعوُّدك علىٰ قراءة القرآن بدون الرجوع علىٰ المعاني إلىٰ اعتياد ألفاظ القرآن بدون فهم وتدبر:

قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ

﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴾ [النجم: ٣١ - ٦٢].

لقد ظلمت الأمة نفسها، وقصَّرت في حق ربها، فحرمها الرحمن حظًّا من الرحمة، وأذاقها الذل والهوان بما قدمت يداها لعلهم يعون، يتذكرون، وإلىٰ ربهم يرجعون.

قال تعالىٰ: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [فاطر: ٤٥].

فلو أُخِذْنا بذنوبنا لهلكنا جميعًا، فإذا كان ذلك كذلك، فَعَلَامَ يتمنَّ المرء منَّا رحمة ربه، وهو علىٰ سبيل العذاب والهلاك آخذ فيه بجدٍّ وقوة؟!

قال الرحمن الرحيم: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤ - ٧٠].

وقال سبحانه العليم الحكيم الخبير: ﴿ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

﴿بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

(٥) أخْذُ الكتاب بقوة:

قال تعالىٰ: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣].

قال القرطبي في جامعه (١/ ٣٥٣):

«قوله تعالىٰ: ﴿خُذُواْ﴾ أي: فقلنا خذوا، فخذ: ﴿مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ ما أعطيناكم ﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي: بجد واجتهاد، قاله ابن عباس وقتادة والسدي.

وقيل: بنية وإخلاص، وقال مجاهد: القوة العمل به فيه، وقيل: بقوة بكثرة درس ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ أي: تدبروه واحفظوا أوامره ووعيده ولا تنسوه ولا تضيعوه.

قلت: هذا هو المقصود من الكُتب، العمل بمقتضاها، لا تلاوتها باللسان وترتيلها، فإنَّ ذلك نبذٌ لها علىٰ ما قاله الشعبي وابن عيينة.

قال مالك: قد يقرأ القرآن من لا خير فيه.

فما لزم إذًا منْ قبلنا وأُخِذ عليهم لازم لنا وواجب علينا، قال تعالىٰ:

﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ [الزمر: ٥٥] فأمرنا باتباع كتابه والعمل بمقتضاه، لكن تركنا ذلك، كما تركت اليهود والنصارىٰ، وبقيت أشخاص الكتب والمصاحف لا تفيد شيئًا؛ لغلبة الجهل، وطلب الرياسة، واتباع الهوىٰ.

روىٰ الترمذي[1] عن جُبير بن نُفير عن أبي الدرداء قال:

---

(١) في سننه (٢٦٥٣) وقال: (حسن غريب)، والدارمي في المقدمة (٢٨٨).

كنا مع النبي ﷺ فشخص ببصره إلىٰ السماء ثم قال:

«**هذا أوان يُختلس فيه العلم من الناس حتىٰ لا يقدروا منه علىٰ شيء**» فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس منَّا وقد قرأنا القرآن! فوالله لنقرأنَّه ولنُقرِئنَّه نساءنا وأبناءنا، فقال: «**ثكلتك أمك يا زياد، إن كنت لأعُدُّك من فقهاء المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارىٰ، فماذا تغني عنهم**».

وفي الموطأ عن عبد الله بن مسعود: قال لإنسان:

«**إنك في زمان كثير فقهاؤه، قليل قرَّاؤه، تُحفظ فيه حدود القرآن وتُضيع حروفه، قليل من يسأل، كثير من يُعطي، يطيلون الصلاة ويُقصرون فيه الخطبة، يبدؤون فيه أعمالهم قبل أهوائهم، وسيأتي علىٰ الناس زمان قليل فقهاؤه، كثير قرَّاؤه، تحفظ فيه حروف القرآن، وتضيَّع حدوده، كثير من يسأل قليل من يعطي، يطيلون فيه الخطبة، ويقصرون الصلاة، يبدؤون فيه أهواءهم قبل أعمالهم**» .

وهذه نصوص تدل علىٰ ما ذكرنا.

وقد قال يحيىٰ: سألت ابن نافع عن قوله: يبدؤون أهواءهم قبل أعمالهم؟ قال: يقول: يتبعون أهواءهم ويتركون العمل بالذي افترض عليهم.

وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾ تولي تفعّل، وأصله الإعراض والإدبار عن الشيء بالجسم؛ ثم استعمل في الإعراض عن الأوامر والأديان والمعتقدات اتساعًا ومجازًا.

وقوله: ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من بعد البرهان، وهو أخذ الميثاق» اهـ.

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] وهو أمر لكل الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم إلىٰ يوم الدين.

قال القرطبي في تفسيره (١١/ ١٣):

«قوله تعالىٰ: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ في الكلام حذف؛ المعنىٰ: فوُلد

له ولد، وقال الله تعالىٰ للمولود: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾، وهذا اختصار يدل الكلام عليه، و﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة بلا خلاف، ﴿بِقُوَّةٖ﴾ أي: بجد واجتهاد؛ قاله مجاهد. وقيل: العلم به والحفظ له والعمل به، وهو الالتزام لأوامره، والكف عن نواهيه. قاله زيد بن أسلم» اهـ.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١].

قال القرطبي في جامعه (٢/ ٣١):

«والمراد التوراة؛ لأن كفرهم بالنبي ﷺ وتكذيبهم له نبذ لها، قال السدي: نبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف، وسحر هاروت وماروت.

وقيل: يجوز أن يعني به القرآن.

قال الشعبي: هو بين أيديهم يقرؤونه، ولكن نبذوا العمل به.

وقال سفيان بن عيينة: أدرجوه في الحرير والديباج، وحلَّوه بالذهب والفضة، ولم يحلوا حلاله، ولم يحرِّموا حرامه؛ فذلك النبذ ﴿كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ تشبيه بمن لا يعلم، إذ فعلوا فعل الجاهل، فيجيء من اللفظ أنهم كفروا علىٰ علم» اهـ.

قال الراغب الأصفهاني في المفردات في غريب القرآن (ص٤٨١):

«النبذ: إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به؛ ولذلك يقال: نبذته نبذ النَّعْل الخَلِق، قال: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾ [الهمزة: ٤]، ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٨٧] لقلة اعتدادهم به، وقال: ﴿فَنَبَذۡنَٰهُ وَهُوَ مَذۡمُومٞ﴾ أي: طرحوه لقلة اعتدادهم به، وقال: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ﴾ [الذاريات: ٤٠]» اهـ.

قلت: أوليس الأمة بنابذة لكتاب الله علىٰ التحقيق؟!

وقال العلامة السعدي في تفسيره (ص٥٤):

«﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد وصبر علىٰ أوامر الله ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ أي: ما في كتابكم بأن تتلوه وتتعلموه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ عذاب الله وسخطه، أو لتكونوا من أهل التقوىٰ.

فبعد هذا التأكيد البليغ ﴿تَوَلَّيْتُم﴾ وأعرضتم، وكان ذلك موجبًا لأن يحل بكم أعظم العقوبات ولكن ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [البقرة: ٤٦]» اهـ.

وقال أيضًا في سورة مريم (ص ٤٩٠):

«﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ أي: بجد واجتهاد، وذلك بالاجتهاد في حفظ ألفاظه، وفَهْم معانيه، والعمل بأوامره ونواهيه، هذا تمام أخذ الكتاب بقوة» اهـ.

قلت: فرحمة الأمة بين قوليه تعالىٰ:

الأول: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

والثاني: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣]، هذا هو القول الفصل بإذن الله تعالىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ [الطارق: ١٣ - ١٤].

وقال -جل وعلا-: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥ - ١٤٦].

فغفلة المسلمين عن كتاب ربها هي السبب الأم في هلاكهم، فيا قومنا خذوه بقوة، وأمروا أهلكم يأخذوا بأحسنه، وكله حسن.

قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٢ - ٢٣].

فكتاب ربنا -جل وعلا- هو الروح الحقيقية التي تحيا بها القلوب، فإن غفلت عنه كانت أمواتًا غير أحياء، قال -جل وعلا-:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورىٰ: ٥٢ - ٥٣].

وقال: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

وقال: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وهو النور المبين: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

وكفلين: أي: نصيبين وأجرين من الرحمة مع النور.

فأخذ الكتاب بقوة، هو الرحمة والنور والخير والصلاح والرشاد والفلاح والنصر والتمكين والهدىٰ والتوفيق والسداد؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ

فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٤ - ١٧٥].

فهذا طريق الرحمة والنور المبين، فلا تطفئوا نور الله بمعاصيكم فتحرموا نصيبكم من الرحمة فتكونوا: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٧ - ١٨].

إنَّ ما يحدث لجناب الرسول ﷺ اليوم إنما هو مذلة ومهانة للمسلمين، لا للرسول ﷺ العزيز بعزِّ الله له، المعصوم في حياته ومماته، بلاء من الله للأمة، لتبحث عن الأسباب؛ لعلها تعود إلىٰ طريق الصواب، إلىٰ مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

وحتىٰ تحققوا قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [الحجرات: ١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥]، ومثل هذه الآيات.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨].

(٦) اتباع منهج السلف الكرام رضي الله عنهم وأخذ الديانة عن طريقهم، وترك الابتداع، ولا تكون الأسباب الخمسة إلا في ضوء هذا السبب.

واعلم أنه لا يستقيم للمرء تحصيل أيِّ سبب من أسباب الرحمة الخمسة السابقة إلا في ضوء هذا السبب؛ لأننا مأمورون باتباع هديهم وسنتهم، ومتعبدون بالكتاب والسنة بفهمهم وسلوك سبيلهم وطريقهم، والانتهاج بنهجهم، وأخذ العلم عمن اهتدىٰ بهديهم، ولم يُقدم قول أحد كائنًا من كان علىٰ قولهم؛ ولعظم

هذا السبب أفردت له كتابي (السلفية والسلفيون علىٰ ميزان الشريعة) فأغنىٰ عن الإعادة هنا، ويكفيك هنا ما أذكر لك بإذن الله بما يناسب المقام:

قال تعالىٰ:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قلت: وأعظم وأفضل وخير المتبعين له ﷺ هم أصحابه رضي الله عنهم .

قال الإمام ابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ٢٠، ٢٥):

«وكما أن الصحابة سادة الأمة وأئمتها، فهم سادات المفتين والعلماء.

قال الليث عن مجاهد: العلماء أصحاب محمد ﷺ .

وقال سعيد عن قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ [سبأ: ٦] قال: أصحاب محمد ﷺ ....

والدين والفقه والعلم انتشر في الأمة عن أصحاب ابن مسعود، وأصحاب زيد بن ثابت، وأصحاب عبد الله بن عمر، وأصحاب عبد الله بن عباس؛ فعِلْمُ الناس عامته عن أصحاب هؤلاء الأربعة» اهـ.

قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٦٧):

«يقول الله تعالىٰ لعبده ورسوله إلىٰ الثقلين: الإنس والجن، آمرًا له أن يخبر الناس: أن هذه سبيله، أي: طريقه ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلىٰ الله علىٰ بصيرة بذلك ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلىٰ ما دعا إليه رسول الله ﷺ علىٰ بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي» اهـ.

ويؤكد ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ [التوبة: ١١٧] فهم الذين اتبعوه، وما

اتبعه الذين جاءوا من بعده إلا باتباعهم لمن اتبع أمره أولًا وهم الصحابة رضي الله عنهم.

وقال القرطبي في تفسيره (٩/ ١٩٢):

«أي: قل يا محمد هذه طريقي وسُنَّتي ومنهاجي، قاله ابن زيد، وقال الربيع: دعوتي، وقال مقاتل: ديني، والمعنىٰ واحد، أي الذي أنا أدعو إليه يؤدي إلىٰ الجنة ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: علىٰ يقين وحق؛ ومنه: فلان مستبصر بهذا ﴿أَنَا﴾ توكيد ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ عطف علىٰ المضمر» اهـ.

فسنّته ومنهاجه ودعوته ودينه ﷺ هو منهج ودعوة ودين وسنة الصحابة رضي الله عنهم.

وقال السعدي في تفسيره (ص٤٠٦):

«يقول الله تعالىٰ لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ للناس: ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ أي: طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلىٰ الله، وإلىٰ دار كرامته المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له.

﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: أحث الخلق والعباد إلىٰ الوصول إلىٰ ربهم، وأرغبهم في ذلك وأرهبهم مما يبعدهم عنه، ومع هذا فأنا ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ من ديني، أي: علىٰ علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية ﴿وَ﴾ كذلك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ يدعو إلىٰ الله كما أدعو علىٰ بصيرة من أمره» اهـ.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

روىٰ الإمام الآجري في الشريعة (١٤٦) عن عمر بن عبد العزيز أنه قال:

«سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا، الأخذ بها اتباع لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة علىٰ دين الله، ليس لأحد من الخلق تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدىٰ بها فهو مهتد، ومن استنصر

بها فهو منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولَّاه الله ما تولَّىٰ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا».

وقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٢٠١):

«قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ وقد شهد الله لأصحاب نبيه ﷺ ومن تبعهم بإحسان بالإيمان، فعُلم قطعًا أنهم المراد بالآية الكريمة، وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

فتقرر أنَّ من اتبع غير سبيلهم ولَّاه الله ما تولىٰ وأصلاه جهنم» اهـ.

وروىٰ مسلم في صحيحه (٢٥٣١) عن أبي موسىٰ الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «**وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتىٰ أمتي ما يوعدون**».

قال النووي في شرح مسلم (١٦/ ٦٤):

«قوله ﷺ: «**وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتىٰ أمتي ما يوعدون**» معناه: من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم وغيرهم عليهم» اهـ.

قلت: ذهاب الصحب الآن بذهاب منهجهم وسنتهم وطريقتهم ومنهجهم، الذي هو الباب الذي بين الأمة والفتن والبدع والحوادث في الدين، وظهور اليهود والنصارىٰ عليهم، وطعنهم في الرسول ﷺ، وتعذيبهم للأمة، ووجود منهجهم باتباعه أمنة وأمان للأمة من كل ذلك.

وذلك كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ [الحجرات: ٢].

ورفع الصوت بعد موته ﷺ بتقديم أقوال الناس علىٰ قوله وسنته ﷺ.

وروىٰ الآجري في الشريعة (٢٠٣٨)، وابن عبد البر في جامعه (١٢٨٥)، وأورده البغوي في تفسيره (١/ ٢٨٤) عن عبد الله بن مسعود قال:

«من كان مستنًّا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرَّها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيِّه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوا آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم فإنهم كانوا علىٰ الهدىٰ المستقيم» .

والسبيل الذي هي سبيله ﷺ وسبيل من اتبعه من أصحابه، وسبيل من تبعهم من بعدهم هو الصراط الذي قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وبإجماع الأمة أن الصحابة رضي الله عنهم قد التزموا الصراط المستقيم كما قال ابن مسعود آنفًا واتبعوه، فاتباعهم اتباع للصراط، ومن ثم اتباع لله ورسوله ﷺ .

قال ابن قدامة كما في (ذم التأويل) (ص٣٤٩):

«فقد ثبت وجوب اتباع السلف -رحمة الله عليهم- بالكتاب والسنة والإجماع، والعبرة دلَّت عليه، فإنَّ السلف لا يخلو من أن يكونوا مصيبين أو مخطئين، فإن كانوا مصيبين وَجَبَ اتباعهُم؛ لأن اتباع الصواب واجب، وركوب الخطأ في الاعتقاد حرام؛ ولأنهم إذا كانوا مصيبين كانوا علىٰ الصراط المستقيم، ومخالفهم متبع لسبيل الشيطان الهادي إلىٰ صراط الجحيم، وقد أمر الله تعالىٰ باتباع سبيله وصراطه، ونهىٰ عن اتباع ما سواه فقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ

﴿تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وإنْ زعم أنهم مخطئون كان قادحًا في حق الإسلام كله، لأنه إن جاز أن يخطئوا في هذا، جاز خطؤهم في غيره من الإسلام كله، وينبغي ألا تُنْقل الأخبار التي نقلوها، ولا تثبت معجزات النبي التي رووها، فتبطل الرواية وتزول الشريعة، ولا يجوز للمسلم أن يقول هذا ولا يعتقده» اهـ.

قال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

فباتباع هذا القرآن المبارك تُرحم الأمة وتصيبها البركة، ولن يستقيم للأمة اتباع إلا من طريق اتباع صحابة رسوله ﷺ، الواسطة التي بيننا وبين النبي ﷺ، فثبت يقينًا أن باتباعهم تُرحم الأمة، وتأمن من الفتن والشرور.

قال قوَّام السنة الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٣٧، ٤٤٠):

«وليس العلم بكثرة الرواية، وإنما هو الاتباع والاستعمال، يُقتدىٰ بالصحابة والتابعين وإن كان قليل العلم، ومن خالف الصحابة والتابعين فهو ضال وإن كان كثير العلم؛ وذلك أنه تبيَّن للناس أمرُ دينهم، فعلينا الاتباع؛ لأن الدين إنما جاء من قبل الله تعالىٰ، لم يوضع علىٰ عقول الرجال وآرائهم، فقد بيَّن الرسول ﷺ لأمته، وأوضحها لأصحابه، فمن خالف أصحاب رسول الله ﷺ في شيء من الدين فقد ضل» اهـ.

وفي الحديث الذي عليه العمل سلفًا وخلفًا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما والذي رواه الترمذي في سننه وحسنه (٢٦٤١) وقال شيخ الإسلام في المجموع (٣/ ٣٤٥): «الحديث صحيح مشهور» ورواه المروزي في السنة (٥٩)، والآجري في الشريعة (٢٣، ٢٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٤٧) عن النبي ﷺ قال:

«**وستفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة**» قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**مثل ما أنا عليه وأصحابي**» .

فالفرقة الناجية هي المتبعة لما كان عليه أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ورضي الله عنهم، الذين آمنوا برسوله ووقروه وعظموه قولًا وفعلًا، بتوقير سنته، أوامره ونواهيه، قال تعالىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فلما عظم الصحابة رسولهم ﷺ عظَّمهم الله وأذل رقاب الجبابرة.

ولما خالفت الأمة بين قولها وفعلها، فعظمت رسولها ﷺ قولًا، لا فعلًا، أذلهم الله من الأذلَّاء، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣]، وسيظل يأتي الأمة الذل من الأذلَّاء حتىٰ ترجع الأمة إلىٰ تعظيم الرسول ﷺ قولًا وفعلًا بتعظيم أمره ونهيه.

* ومن لوازم ذلك: ترك الابتداع والإحداث في الدين:

روىٰ البخاري في صحيحه (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو ردٌّ**».

وفي رواية لمسلم: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**» وعند مسلم تحت باب: (نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور)، ورواه البخاري تحت باب: (إذا اصطلحوا علىٰ صلح جَوْر فالصلح مردود).

وروىٰ الإمام أحمد في مسنده (١٨٠٧٩) والترمذي في سننه (٢٦٧٦) وقال: (حسن صحيح) من حديث العرباض بن سارية عن النبي ﷺ قال: «**عليكم**

بسنَّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة».

فجمع ﷺ في هذه الوصية بين الأمر -الذي هو للوجوب- بالتمسك الشديد بسنة وهدي الصحابة رضي الله عنهم، وبين التحذير من البدع ومحدثات الأمور، والتحذير من الشيء هو من أشد النهي عنه.

وأتىٰ ﷺ بلفظة (كل) التي هي من أشدّ صيغ العموم؛ لتشمل كل بدعة أيًّا ما كانت؛ ليردّ كلام من قسم البدعة علىٰ أقسام الحكم التكليفي، ليكون منها البدعة الحسنة وغيرها، وشمولية الحديث لكل بدعة يردُّ هذا التقسيم المبتدع في ذاته.

وقوله ﷺ: «**وإياكم ومحدثات الأمور**» تحذير من البدع والمحدثات وتحذير من أهلها؛ لذلك فإن الإجماع علىٰ التحذير من أهل البدع؛ لأنهم هم الداعون إليها.

قال شيخ الإسلام في المجموع (٢٨/ ٢٣١):

«ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم، وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين»[1] اهـ.

* * *

(١) وقد فصَّلت القول في كتابي: التحذير والتبيين بوجوب الردّ علىٰ المخالفين.

الخاتمة

روىٰ ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٦٨٣/ المختصر) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

«لا يزال عالم يموتن وأثر للحق يُدرس، حتىٰ يكثر أهل الجهل، ويذهب أهل العلم، فيعملون بالجهل، ويدينون بغير الحق، ويضلون عن سواء السبيل».

وروىٰ أيضًا عن الحسن البصري أنه قال (٥٨١):

«العامل علىٰ غير علم[1] كالسالك علىٰ غير طريق، والعامل علىٰ غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلبًا لا تضرُّوا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا تضروا بالعلم، فإن قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم حتىٰ خرجوا بأسيافهم علىٰ أمة محمد ﷺ، ولو طلبوا العلم لم يدلَّهم علىٰ ما فعلوا».

قلت: وهذا أعظم الفساد في الأرض.

قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦].

قال الإمام ابن القيم في مدارج السالكين (٣/ ١٩٤، وما بعدها) بعد ذكر الآية، وهو يتكلم عن الغربة:

«فإن الغرباء في العالم: هم أهل هذه الصفة المذكورة في الآية، وهم الذين أشار إليهم النبي ﷺ في قوله: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبىٰ للغرباء**»[2].

---

(١) والعلم هو السنة، والجهل هو البدعة، كما قال الإمام أبو عثمان الصابوني.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبوطون؛ ولقلتهم في الناس جدًّا سمُّوا غرباء؛ فإن أكثر الناس علىٰ غير هذه الصفات.

فأهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة -الذين يميزونها من أهل الأهواء والبدع- فهم غرباء، والداعون إليها الصابرون علىٰ أذىٰ المخالفين: هم أشد هؤلاء غربة، ولكن هؤلاء هم أهل الله حقًّا، فلا غربة عليهم، وإنما غربتهم بين الأكثرين، الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

فأولئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه، وغربتهم هي الغربة الموحشة، وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم.

ومن صفات هؤلاء الغرباء -الذين غبطهم النبي ﷺ-: التمسك بالسنة، إذا رغب عنها الناس، وترك ما أحدثوه وإن كان هو المعروف عندهم، وتجريد التوحيد، وإنْ أنكر ذلك أكثر الناس، وترك الانتساب إلىٰ أحد غير الله ورسوله، لا شيخ ولا طريقة، ولا مذهب، ولا طائفة.

بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلىٰ الله بالعبودية له وحده، وإلىٰ رسوله بالاتباع لما جاء به وحده.

وهؤلاء هم القابضون علىٰ الجمر حقًّا، وأكثر الناس - بل كلهم- لائِمٌ لهم.

فلغربتهم بين هذا الخلق: يعدونهم أهل شذوذ وبدعة ومفارقة للسواد الأعظم بل الإسلام الحق - الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه- هو اليوم أشد غربة منه في أول ظهوره، وإن كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهورة معروفة.

فالإسلام الحقيقي غريب جدًّا، وأهله غرباء أشد الغربة بين الناس.

وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جدًّا، غريبة بين اثنتين وسبعين فرقة، ذات

أتباع ورئاسات ومناصب وولايات، ولا يقوم لها سوق إلا بمخالفة ما جاء به الرسول؟ فإن نفس ما جاء به: يضاد أهواءهم ولذاتهم وما هم عليه من الشبهات والبدع التي هي منتهىٰ فضيلتهم وعملهم، والشهوات التي هي غايات مقاصدهم وإراداتهم؟

فكيف لا يكون المؤمن السائر إلىٰ الله علىٰ طريق المتابعة غريبًا بين هؤلاء الذين قد اتبعوا أهواءهم، وأطاعوا شحَّهم، وأعجب كل منهم برأيه؟

فإذا أراد المؤمن الذي قد رزقه الله بصيرة في دينه، وفقهًا في سنة رسوله، وفهمًا في كتابه، وأراه ما الناس فيه: من الأهواء والبدع والضلالات، وتنكبهم عن الصراط المستقيم الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

فإذا أراد أن يسلك هذا الصراط: فليوطن نفسه علىٰ قدح الجهال، وأهل البدع فيه، وطعنهم عليه، وإزرائهم به، وتنفير الناس عنه، وتحذيرهم منه، كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه ﷺ.

فأما إنْ دعاهم إلىٰ ذلك، وقدح فيما هم عليه: فهنالك تقوم قيامتهم، ويبغون له الغوائل، وينصبون له الحبائل، ويجلبون عليه بخيل كبيرهم ورَجْله.

فهو غريب في دينه؛ لفساد أديانهم، غريب في تمسكه بالسنة؛ لتمسكهم بالبدع، غريب في اعتقاده، لفساد عقائدهم، غريب في نسبته؛ لمخالفة نِسَبِهم، غريب في معاشرته لهم؛ لأنه يعاشرهم علىٰ ما لا تهوىٰ أنفسهم.

وبالجملة: فهو غريب في أمور دنياه وآخرته، لا يجد من العامة مساعدًا ولا معينًا، فهو عالم بين جهال، صاحب سنة بين أهل بدع، داع إلىٰ الله ورسوله، بين دعاة إلىٰ الأهواء والبدع، آمر بالمعروف، ناه عن المنكر، بين قوم المعروف لديهم منكر والمنكر معروف» اهـ.

قلت: روىٰ ابن عبد البر في جامعه (٦٧٥) عن عطاء بن أبي رباح في قول الله ﷻ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ

سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [الرعد: ٤١] **قال:**

«ذهاب فقهائها وخيار أهلها».

قال الإمام أبو عمر بن عبد البر:

«وقول عطاء في تأويل الآية حسن جدًّا، تلقاه أهل العلم بالقبول» اهـ

بهذا النسيج الذهبي القيِّميِّ السلفي النبوي، المنسوج من دُرَرِ الكلام الحق أختم هذا الكتاب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الوهَّاب، يهب لمن يشاء الهدىٰ بفضله، ويضل من يشاء بعدله، وهو العزيز الحكيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتب

أبو عبد الرحمن

عيد بن أبي السعود الكيال

وكان الانتهاء منه في عمق ليلة الاثنين

١٥/ شوال/ ١٤٣٣هـ

الموافق: ٢/ ٩/ ٢٠١٢م

ثم روجع في: ٢٢/ ٩/ ٢٠١٢/ م

القاهرة – م. نصر – عزبة الهجانة

فهرس الكتاب

المقدمة ٣
خطة البحث، حيث يقوم البحث علىٰ ثلاث دعائم وخاتمة ١٣
(١) الدِّعامة الأولىٰ: وقعة الحرَّة وأعظم الغدر **١٥**
أولًا: العالم الربَّاني شهيد علىٰ قومه ١٥
ثانيًا: القرآن تبيان لكل شيء ١٧
ثالثًا: أعظم الغدر نقض العهود ٢٠
رابعًا: وقعة الحرَّة وشؤم الغدر وشؤم الخروج علىٰ الحكام ٢٣
خامسًا: ما أشبه الليلة بالبارحة ٢٨
سادسًا: الخوارج يضرون أنفسهم؛ فإنَّ الطبع غلَّاب ٢٩
سابعًا: ويل للأَتْبَاع من عَثَراتِ الرجال ٣٢
(٢) الدعامة الثانية: المسلمون بين دعاة الفتنة وبوذيٍّ بورما والغرب الكافر **٣٤**
أولًا: البلاء قسيم الإيمان ٣٤
ثانيًا: وهو القاهر فوق عباده ٣٨
ثالثًا: بورما وقاهرية القهَّار ٤١
رابعًا: دعاة الفتنة والإفساد في الأرض باسم الدين ٤٣
خامسًا: حمية الخوارج الممقوتة الجاهلة، والفيلم المسيء للرسول ﷺ ٤٨
* كيف يسب المتظاهرون المسلمون رسولَ الله ﷺ؟! ٤٩
* تعقيب ٥٢
(٣) الدعامة الثالثة: كيف تُرحم الأمة؟ **٥٣**
١- حسن الاستماع والإنصات إلىٰ القرآن أوَّل وأهم أسباب الرحمة ٥٣
٢- لزوم طاعة الله ورسوله وهو حسن القنوت ٥٥

٣- تقوىٰ الله وكثرة الاستغفار ٥٦
٤- خشية الرحمن..... ٥٩
٥- أخذ الكتاب بقوة ٦١
٦- اتباع منهج السلف الكرام رضي الله عنهم وأخذ الديانة عن طريقهم وترك الابتداع،
ولا تكون الأسباب الخمسة إلا في هذا الضوء ٦٧
* ومن لوازم ذلك: ترك الابتداع والإحداث في الدين ٧٣
الخاتمة..... ٧٥
الفهرس ٧٩

* * *